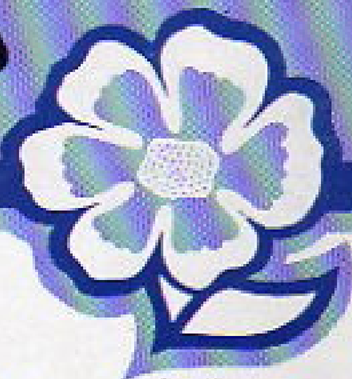
روايات عبير



فيوليت وينسبير

قطار في الضباب

٥٢

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 52

قطار في الضباب

الفعل التلقائي لا يفهم على حقيقته أبداً. فهو ينبع من رغبة طبيعية للاحتفاظ بالذات، أو من رغبة طبيعية مماثلة للتضحية بالنفس. وليس الضروري أن يكون الحب هو الدافع...

... كان اسمه لو مارش وكان مخرجاً في هوليود، وسيماً ومشهوراً تن بلا هوادة، لكنه تزوج فاي العادية المظهر والمتواضعة الأصل. م يكن أمامها في النهاية سوى الرحيل عنه بعدما خسرت جنينها سببه. لكن الرحلة في القطار معاً، كصديقين، والحادث الرهيب الذي ع له عندما حاول انقاذ فاي من الموت المحتم، جعلها يكتشفان أن فعل التلقائي، مهما كان، لا يحصل بدون دافع حقيقي عميق... وأن لب وحده يدفع بالانسان إلى التضحية بنفسه. لكن هل يكفي هذا كي يعود الواحد منهما للآخر بعد طول غياب؟

١ ـ فارس هوليود

جلست فاي تنظر إلى خاتم الزواج الجديد الذي يزيّن أصبعها، وهو خاتم رائع مصنوع من البلاتين تحيط به أحجار صغيرة من الماس البرّاق. وكانت شمس الخريف تعكس أشعتها على أحجاره الكريمة، فتزيده بريقاً وجمالاً. ولكن بدلاً من أن تشعر بالسعادة ملأ قلبها الخوف. ثم ألقت نظرة على زوجها الجالس بجانبها، يقود السيارة على الطريق الرئيسي في كاليفورنيا، وراحت تفكّر وتحدّث نفسها قائلة: لماذا نلزم الصمت مع أن مراسم الزواج تمت على الأقل كان يجب أن يبدو على وجهينا الابتسام. وسألت زوجها قائلة:

«متى نصل إلى الكوخ يا لو؟»

ذلك أن لو اقترح تمضية شهر العسل في كوخ يمتلكه على تلال سيرينا، ووافقته فاي على ذلك، ولكن فاي شعرت وهي تسأله أن لسانها أصبح كالخشب، وكأنها لم تنطق بكلمة منذ أسابيع مع أنها قالت : نعم أقبله زوجاً منذ فترة وجيزة.

تملكها الخوف من جديد... وشعرت ببرودة شلّت حركتها. وتساءلت: لماذ تزوجت لو!

إنها بلا شك غلطة جسيمة، ولن يعرفا معاً طعم السعادة ابداً.

فبالنظر إليه، وجدته ساكتاً منطوياً على نفسه. وتملكها اليأس وشعرت بتعاسة لدرجة أنّ الدموع كادت تطفر من عينيها. لماذا إذن تزوجها وهو كما يبدو، لا يشعر بالسعادة أو الفرح أو أي شيء من ذلك؟

ثم التفت نحوها وراح ينظر إليها ويقول:

«سوف نصل إلى الكوخ في حوالى الساعة الثامنة. أؤكد لك أنك لن تجدي هناك عناكب أو رطوبة».

وابتسم ابتسامة ساخرة رفعت ركناً من فمه الواسع وقوست حاجبه الأيسر في استهزاء واضح، ثم أضاف:

«الواقع إن الكوخ مريح، وفيه حمام، ولكن المياه لا بد أن تسخن على الموقد».

ردت فاي قائلة:

«هذا جميل».

«من يسمعك يقول إنّ هذا الكوخ لا يرضيك. ماذا بك؟»

«لا شيء».

«لا بد أن في الأمر شيئاً لا يرضيك، فأنت تبدين كالشبح... فهل نالك السأم من الزواج بهذه السرعة؟»

«لا طبعاً».

قالت ذلك وراحت تدير خاتم الزواج الثمين حول أصبعها. شعرت أنه أصبح ثقيلاً وغريباً مع أن الماس يتلألأ ويتراقص أمام عينيها. فودت لو تخلصت من هذا الشعور الذي يسيطر عليها.

ثم قال لو:

«أراهن أنني أعرف ماذا بك. إنك تشعرين بالجوع. فلا بد أن كل ما تناولته من الطعام هو فنجان قهوة».

«لم أكن أشعر بالجوع حينئذ».

«كنت متأكداً من ذلك. وسوف نتوقف عند أول مطعم مناسب لتناول الطعام. وتشعرين بالتحسن عندما تأكلين شيئاً يا حبيبتي».

وابتسم لها ثم استدار وأعطى كل اهتمامه إلى القيادة.

غاصت فاي في مقعدها وراحت تدفع فكرة البكاء بعيداً عنها. فلا فائدة الآن من التفكير في الماضي، واستسلمت لقدرها. فهي متزوجة الآن من لو مارش.

لو مارش اسم ساحر في عالم الاخراج السينمائي. صحيح أنه يبلغ الرابعة والثلاثين من عمره فقط لكنه حقق الكثير من النجاح. وارتقى بسرعة سلم الشهرة الشاق في هوليود، واختار فاي كي ترافقه كزوجة... لكن هذا الاختيار لم يكن بسبب الحب.

فعندما طلب يدها صارحها أنه يريد الزواج لأنه سئم الوحدة، والعيش بمفرده، ولذلك سألته:

«وهل يفتقر لهذا الزواج شيء من النجاح في حين أنك لا تشعر نحوي بالحب؟»

فضحك ساخراً وقال لها:

«الحب؟ هل أفسر لك الحب يا صغيرتي؟ إنه كلمة جميلة يضعونها على بطاقات الأعياد والتهنئة. هو عنصر يذيبونه في كلمات الأغاني الشائعة... يا صغيرتي، لا تطلبي مني أن أسمعك كلمات جميلة. فإنني لست كذلك، بل تقبلي مني ماأقدر على إعطائك إياه... وهو إعجابي بك وإعزازي إياك. أليستا عاطفتين قويتين تكفيانك؟»

واعتبرت فاي أنّ مجرد رغبته فيها هي معجزة تقبلتها بامتنان وخفة، كالطير الذي يتقبل بشوق الفتات الذي يصادفه. ولم تصدّق أنه معجب بها كما قال، فهي فتاة عادية لا يحيطها البريق. أما إعزازه إياها فهو في نظره يعني أنه يعجب بتواضعها ونكرانها لذاتها، فيمكنه

أن يشاهدها كلما أراد، وأن يتأكد أنها لن تلومه ويمكنها هي أن تذهب بعيداً عنه وتشغل وقتها بما يسليها لحين يتذكرها و يشير إليها بإصبعه. فتهرع إليه ثانية.

أما فاي فكانت غارقة في حبه. أحبته من أول ابتسامة خصتها بها. وقد تقابلا في منزل جدته حيث كانت فاي تقوم بمهمة تمريض السيدة مارش صاحبة الملايين التي تميل إلى الغضب بسرعة.

كانت فاي من أصل انكليزي هاجرت إلى الولايات المتحدة منذ سنتين عندما توفيت والدتها الأرملة. وكان حضورها إلى أميركا نتيجة برنامج تبادل خاص بالممرضات لكنها بقيت لتعمل ممرضة في المنازل مرخصاً لها من قبل الدولة. ووجدت فاي أن عملها هذا يفوق عملها بالمستشفيات تسلية وإثارة، إذ مكّنها من دخول بعض المنازل ومنذ أول يوم عمل في لوريل باي لدى السيدة مارش أسرتها بهيبتها وأدهشتها بغضبها. كما أعجبت فاي بجمال ديللا الكئيب وهي حفيدة السيدة مارش.

وشعرت أن هذه الأسرة تختلف عن غيرها، وبرغم أن فاي لم تكن متعالية لكنها كانت تفخر بأن السيدة مارش كانت أغنى سيدة في كازا روش وأن شقيق ديللا كان مخرجاً سينمائياً معروفاً.

وبعد ظهر يوم ما حضر لو لزيارة جدته فشعرت السيدة مارش بالفخر لأنها اعتقدت أنه حضر من هوليوود خصيصاً ليسأل عن قرحة معدتها. لكنه أخبرها أنه حضر إلى كازا روش لبعض الأعمال السينمائية، ولم يكن يعلم أنها مريضة بالقرحة. طريقته وهو يخبر جدته بذلك أمام فاي أكدت لها أنه لا يكن لجدته أي عاطفة برغم أنها ربته وربت شقيقته ديللا، إذ توفي والدها، وكانت ديللا في الثانية من عمرها وهو في الثانية عشرة. أما والدتها،

وكانت رائعة الجمال وموطنها الأصلي صقلية. فقد تزوجت ثانية بعد وفاة زوجها مباشرة، ورفض زوجها الثاني تحمل مسؤولية طفليها فتركتهما بكل قسوة مع حماتها. واختفت نهائياً من حياتهما.

علمت فاي بكل هذه التفاصيل الدقيقة من ديللا بعد أن توطدت الصداقة بينهما سريعاً، وربط بينهما شعورهما بالوحدة وبأن كلا منهما فقدت شخصاً عزيزاً عليها، فقد فقدت فاي والدتها أما ديللا فقد توفي زوجها الشاب في حادث سيارة بعد زواجهما بثلاثة أشهر فقط.

وكانت من عادة فاي و ديللا التحدث طويلاً خلال أيام أغسطس / آب الحارة. ومع أن السيدة مارش تنتابها أحياناً نوبات غضب كانت تعد مريضة مريحة نسبياً، تنام كثيراً وبذلك نمت تلك الصداقة بين فاي و ديللا وتوطدت. ونتيجة لمشورة فاي ونصيحتها قبلت ديللا أخيراً أن تتزوج ويل برونسون المحامي الشاب الذي يجاورهم في السكن. وكان ويل كثير التردد على لوريل باي وبذلك فهمت فاي أنه يعشق ديللا الحزينة.

وذات يوم قالت ديللا لفاي وهما جالستان في حديقة الورود في لوريل باي:

«هذا الرجل يحتل العقل وأود لو تركني وشأني».

فردت عليها فاي قائلة بجرأة لم تتعودها من قبل:

«كي تعودي إلى أفكارك الكئيبة؟»

ولم تكن من عادة فاي التدخل في شؤون الآخرين. لكنها تحب كلا من ديللا وويل، وتظن - وتشاركها السيدة مارش هذا الرأي - أنه إذا لم تسرع ديللا وتجد ما تحب لها الحياة فإنها سوف تتحول إلى رتابة كئيبة لا تجد فيها إلا صحبة نفسها فقط وبعض ذكريات

أليمة لزوجها الشاب الذي كان مستهتراً وهي غارقة في حبه تماماً.

«ولكني لن أتمكن من حب ويل كما أحببت فيليب... سأكون خادعة له».

فردت عليها فاي قائلة:

«إذا كان هذا هو تفكيرك إذن فأنت تهتمين به؟!»

فابتسمت ديللا وقالت:

«كيف تبدين النصيحة والحكمة وأنت صغيرة السن إذ يبدو عليك أنك لا تتجاوزين السادسة عشرة؟!»

وكانت السيدة مارش تتماثل للشفاء سريعاً ولذلك نظمت الأسرة حفلاً صغيراً للشاي وكانت أشعة الشمس ساطعة وملأ الجو صوت تحرك الطيور وحفيف أوراق الأشجار. وكانت السيدة مارش تتصدّر المائدة في ثوبها الأسود، وتجلس لتصب الشاي لضيوفها، وهي تشعر بالسعادة لامكانها احتساء الشاي ثانية بعد شفائها. وارتدى لو سروالاً رمادياً وقميصاً أزرق غامقاً. وبدا خطراً كالقرصان. وكانت فايْ ما زالت تشعر بالخجل الشديد نحوه برغم أنه أمضى معهم عشرة أيام. فإذا تحدث إليها ردت عليه باقتضاب. وإذا ابتسم لها وهو قابض بأسنانه على سيجارة ظنت أنه يهزأ بها بابتسامته. فيصعد الدم إلى وجهها الشاحب وإلى عنقها. وكانت تعاني من الأرق لمجرد التفكير في ذلك. كانت دنيا الرجال في نظرها تتركز على تلك الزمرة من الأطباء الذين يعملون كالآلة ويضعون الساعات حول أعناقهم. ولم تظن فاي أبداً أن هناك رجلاً مثل هذا الرجل. فهو وسيم للغاية وجسور كالقرصان المستهتر. وشكت فاي أنه على قدر كبير من الصلابة وتحجر العاطفة. كان لو يخيفها، لكنه يخلبها أيضاً. فأحياناً كانت تود التقرب إليه ولكنها سرعان ما تشعر بالرغبة

في القرار منه، واكتشف أثناء حفل الشاي أنها وقعت في الحب لأول مرة.

أثناء هذا الحفل الصغير أعلن كلّ من ديللا وويل عزمهما على الزواج. وكانت ديللا ترتدي ثوباً من الحرير يكسو وجهها الخجل وهي تعلن هذا النبأ، أما ويل فبدا كالطفل الذي يمتلك كل لعب العالم. وأبدت السيدة مارش رضاها بهزات متتابعة من رأسها.

وراحت فاي تراقب لو خلسة فوجدت عينيه تبرقان بمكر خفي، وهو ينهض بقامته الطويلة، ويمسك فنجان الشاي عالياً محيياً ديللا وويل قائلاً:

«كان يجب أن تشرب نخبكما لكن هذ يكفي... أنا أبارك هذا العقد ولا تنسيا أن تسمّيا أول طفل لكما باسمي».

ثم احتسى نخبهما وسرته نظرة جدته القاسية. وقالت السيدة مارش:

«تجاوزت الحدود يا لو مارش، لماذا لا تذهب إلى هوليوود حيث تقيم؟!»

فرد عليها قائلاً:

«سوف أعود إليها يا جدتي العزيزة بعد أن أمضي شهر العسل».

«ماذا تقول؟!»

«شهر العسل - الشيء الذي يفعله كل الذين يتزوجون».

ثم وضع فنجانه بعناية على المائدة واستدار وجذب فاي من مقعدها قائلاً:

«تعالي نتمشى معاً».

جذبها معه قبل أن تتمكن من الاحتجاج، ثم قادها تحت شجر الحديقة والخوف والتخبط جعلا قلبها يسرع بدقاته حتى أنها لم تتمكن

من صدّه وعندما كفّ عن المشي فجأة، وجذبها إليه وأحاطها بذراعيه القويتين، وشعرت بعناقه، فارتجفت بين يديه وودت لو دفعته عنها لكنها لم تكن راغبة في ذلك، وكل ما أمكنها قوله هو:

«يجب ألاّ تفعل هذا...»

فرد عليها:

«ولكني سوف أستمر في ذلك يا صغيرتي، هل تودين أن أكف؟»

فقالت له:

«نعم».

«أيتها الكاذبة الصغيرة».

عانقها مرة أخرى، ولم تشعر فاي بعد ذلك بشيء، وارتجفت كالفراشة أمام شعلة عواطفه، حتى سمعته يقول:

«تزوجيني وعيشي معي في هوليوود، فقد سئمت الوحدة والعيش بمفردي».

ثم راح يلمس شعرها الذهبي ويتحسس وجنتها ويتمهّل بأصابعه على فمها الجميل الحالم، لم تكن فاي جميلة... فوجهها هادىء للغاية ولكن تبدو عليها جاذبية كامنة، وكانت عظام جسمها دقيقة وصوتها خافتاً وعيناها زرقاوين ويميزها مظهر من الوحدة الأخاذة.

ردّت عليه قائلة:

«ولكنك لا تحبني يا لو».

فضحك عالياً وقال:

«الحب!»

وصلا إلى الكوخ في تمام الثامنة غابت الشمس فاكتست السماء باللون البنفسجي، وتحرك نسيم الخريف بين الأشجار وغنت الطيور لاقتراب الليل.

فتح لو باب الكوخ، ونقلا كيسين كبيرين مملوءين بالطعام اشترياهما من بلدة مرّا بها. ووقفت فاي قرب الباب... وحيدة مع زوجها.

وشعرت أنها تحلم، وأنها سوف تستيقظ بعد برهة وتجد أن كل ما يحيط بها، بما في ذلك لو نفسه وزواجها منه. وهذا الكوخ المطوق بالأشجار جزء من ذلك الحلم. ورأت لو يخطو نحو الكوخ المظلم ويضع الكيس على أحد المقاعد ويفتح النافذتين على اتساعهما. فغمر الضوء المكان وكادت فاي تصرخ من فرط إعجابها ودهشتها. ووجدت فاي أريكتين كبيرتين ومدفأة وبين الأريكتين منضدة طويلة لامعة. وكست أرضية الصالة السوداء اللامعة قطع من السجاد المنسجمة مع الجدران، تزينها معلقات وأعلام من فن الهنود الحمر، وعلى جانب أحد الجدران مكتب قديم لامع أسود تواجهه خزانة مليئة بالكتب. كانت الغرفة جميلة ذات سقف عال. فبرقت عينا فاي إعجاباً وهي تتلفت وتعجب بكل شيء، فسألها لو قائلاً:

«هل تروق لك هذه الغرفة؟»

«أعشقها».

«ليست هناك عناكب أو آثار للرطوبة. تعالي، سوف أريك المطبخ».

ذهبت معه حاملة كيس الطعام، ولمّا وصلا إلى المطبخ الأنيق الصغير أخذ لو الكيس من يدها ووضعه على المائدة، ثم ابتسم عندما لاحظ إعجابها المتسم بالدهشة، وسألت:

«كيف تحافظ على الكوخ نظيفاً مرتباً؟»

فرد قائلاً:

«هناك امرأة تسكن في الوادي، تأتي لتنظيف الكوخ فأحياناً أحضر إلى هنا أثناء شهور الصيف».

ونظرت فاي إلى الخزائن فابتسم لو وفتح لها إحداها. فرأت كمية ضخمة من المعلبات يحتوي بعضها على الفاكهة. وقال:

«هل رأيت أننا لن نجوع هنا أبداً».

ثم فتح الخزانة الثانية مضيفاً:

«أما هذه الخزانة فتحتوي على وقود للمصابيح والموقد. وهنا تحتفظ بأغطية الأسرة وأدوات المائدة وأواني المطبخ. والآن تعالي لتري غرفة النوم والحمام».

قالت فاي:

«كلمة كوخ لا تصف هذا المكان يا لو».

«نعم أنا متأكد أن تخيلك هذا الكوخ يعني أنه كوخ مهدم، فيه سريران ضيقان، ومضخة ماء يا صغيرتي. لكنك لم تتزوجي شخصاً مفلساً».

ثم ضغط لو على يد فاي فشعرت بخاتم الزواج في أصبعها، وفكرت أن هذا الخاتم البلاتيني الجميل المرصع بالماس كلف كثيراً من المال. فكست الحمرة وجنتيها فسألها:

لماذا يكسو الخجل وجهك؟ وماذا يدور في رأسك الصغير؟»

«كان يجب ألا تدفع كل هذا المال في خاتم الزواج... ما كان يجب أن تشتريني يا لو».

فقال مندهشاً والابتسامة تموت على شفتيه:

«أشتريك؟ هذا قول فظيع».

وأخذ يدها وراح يرنو إلى الخاتم ويقول:

«ظننت أن الخاتم سوف يروق لك».

«إنه يروق لي ولكنه غالي الثمن جداً».

ولاحظ خجلها، فضحك فجأة وقال باستهزاء:

«تظنين أنني اشتريتك؟ إن شرائي إياك لن يتوقف عند خاتم فقط أؤكد لك يا عزيزتي أن زوجة لو مارش سوف ترتدي الحرير، لا الثياب المصنوعة من القطن».

وخرج من الكوخ ليأتي بحقائبها من السيارة. وإذ مضيا في تناول العشاء، أخذ ذلك التوتر يبارح لو وكانت فاي فخورة بالعشاء الذي قامت به. وقد أرضاها أن لو أخذ يلتهم الطعام بشهية، ثم قال لها وهو يطريها:

«أنت ماهرة في طهو اللحم يا فاي. من علّمك الأصول؟»

«علمتني والدتي...»

«وهل كنت تحبين والدتك كثيراً يا فاي؟»

ثم سكب لنفسه قليلاً من الشراب وهو ينظر إليها قائلاً:

«أما والدتي فكانت امرأة لعوباً جميلة، متحجرة العواطف، تتصف بالأنانية. وقد يدهشك أن جدتي تقول دائماً إنني أشارك والدتي هذه الصفات...»

فعضت على شفتيها وقالت:

«أرجو ألا تقول هذا يا لو، إنك تصف نفسك دائماً بالفظاعة ولذلك صفات سيئة».

فقال لها ساخراً:

«والآن يا حبيبتي... هل تظنين حقيقة أن الناس يفهمونني؟»

«أنا لا أظن أنك بالفظاعة التي تدعيها».

ثم نهضت وأخذت الصحون إلى المطبخ وعادت بالحلوى فنظر لو إليها بإعجاب وقال:

«إنك تملكين كل المواهب يا صغيرتي فأنت طاهية ماهرة. ولك ابتسامة سارة، وطبع متفائل».

فسألته قائلة وهي تبتسم:

«ولماذا تصفني بأن لي طبعاً متفائلاً؟»

فرد قائلاً:

«لأنك قلت لي إنني لست بالفظاعة التي أدعيها».

«نعم قلت ذلك عن اقتناع».

«يا صغيرتي هذا هو التفاؤل».

وبعد تناول القهوة غسلا الصحون ثم رجعا إلى غرفة الجلوس وكان احد المصابيح الخافتة مضاء، مما جعل الغرفة تبدو مريحة هادئة. أشعل لو الدفاة فليالي الصيف باردة على هذا الارتفاع وقطع الخشب في المدفأة تتوهج وتنشر أريجاً عاطراً من الصنوبر. فهتفت فاي تقول وهي تجلس على الأريكة وتلف يديها حول ركبتيها:

«إنني أحب هذه الغرفة فهي من النوع الذي يحلم به المرء ويتمناه دائماً».

سألها لو قائلاً وهو يجلس على الأريكة الأخرى:

«ومن هو الزوج الذي يلائم هذه الغرفة؟ هل أنا الزوج الذي كنت تحلمين به؟»

ابتسمت فاي قليلاً.. فبالنسبة إلى الشكل إنه يتفق مع كل المواصفات التي تحلم بها. ولكنها ردت تقول وهي تعترف له:

«لم أكن أفكر كثيراً في الزواج ولم أظن أنني سوف أتزوج أبداً».

فسألها بمراح:

«يا حبيبتي... ألم تنظري جيداً إلى نفسك في المرآة؟»

فاحمر وجهها وراحت تراقبه وهو يشعل سيكارة وعاد يقول لها:

«لا تقول لي إنني أول رجل قال عنك إنك جميلة جداً».

...ما مصدقة على كلامه. وقال لها:

«هذا شيء لا يصدق ولكن بعد أن تهتم بك أوليف هادلي ستبدين أكثر جمالاً».

فسألته قائلة:

«ومن هي أوليف هادلي؟»

«أوليف تدير مؤسسة فخمة بهوليوود حيث تحوّل النجوم إلى سيدات أنيقات».

«وهل تراني نجمة صاعدة؟»

«فيك إمكانيات كامنة يا صغيرتي، وأنا متشوق أن أراها تطفو على السطح. فبوسع أوليف أن تخلق لك نموذجاً مناسباً لتصفيف شعرك، وتنصحك عند انتقاء ملابسك واختيار ألوان الزينة لأنك تفتقرين إلى الارشاد في تلك الناحية. أحمر الشفاه الذي تستعملينه مثلاً غامق نوعاً ولا يلائم بشرتك».

فلمست فاي شفتيها وقالت:

«هل هو غامق حقاً؟ إنه غالي الثمن والفتاة التي باعته قالت لي إنه يلائم بشرتي».

«إذن فهي مصابة بعمى الألوان.. إن لك فماً جميلاً يا فاي، ولا أحب أن أراه مصبوغاً بلون كوّن خصيصاً للسراوات. إنه يجعل فمك يبدو قاسياً وينتقص من جمال عينيك».

فنظرت إليه فاي بدهشة بالغة، لكنه ضحك وقال:

«من السهل أن أرى أنك لم تتعودي الاطراء، فكفّي عن الدهشة لك فعلاً فم مدهش وعينان جميلتان ولم لا أقول لك ذلك؟»

ابتسمت، ثم ألقت برأسها على الأريكة وشعرت بالسعادة تتغلغل في جسمها. جميل أن يقول إنها تملك فماً جميلاً وعينين مدهشتين، وخصوصاً إذا كان قائل ذلك لو وتنبهت إليه يضيف:

«حدثيني عن نفسك يا فاي. أين عشت في طفولتك؟»

«عشت في مكان كئيب في لندن يسمّى هولوواي وكانت شقتنا تتكون من غرفتين، وتملأها رائحة طعام الجيران ويزعجنا ضجيجهم. وكانت والدتي تعمل في أحد المصانع. أرادتني أن أدرس التمريض لأنه كان يقلقها أن أعمل في مصنع مثلها. وحين ماتت وأكملت دراستي التحقت بسلك التمريض. كنت توّاقة لأن أرى بلاداً أخرى وأن أتعرف على العالم حولي».

فقال وهو لطيف للغاية مما أدهش فاي:

«وذلك عن طريق غرف المرضى!؟»

فقالت فاي:

«هذا القول قد يبدو سخيفاً، ولكن التمريض الخاص لا بأس به خصوصاً إذا كان على الممرضة أن تكسب عيشها».

«وهل يروق لك عملك الجديد؟»

قال ذلك وهو يبتسم وينظر إلى جسمها الساكن وإلى قدميها. ولما طالبها بالرد أخفت وجهها في وسادة الأريكة لتتلافى النظر إلى عينيه، فقد أخجلتها نظرته إليها وراحت تتمتم:

«أحببت عملي الجديد، ولكني أعترف أن الرئيس يخيفني قليلاً، فهو ينظر إلى قدميّ باستمرار».

وسمعته يضحك ويقول:

«يا صغيرتي يجب أن تخافيه عندما يكفّ عن النظر إلى قدميك».

كانت الغرفة هادئة ساكنة، تفوح بأريج أخشاب الصنوبر تحترق في المدفأة، وتفوح كذلك برائحة سيكار لو، وساعة الحائط مسموعة كذلك أصوات الصراصير... أغلقت فاي عينيها، وشعرت بدفء النار يسري في جسمها واتكأت على الأريكة وغاصت فيها، ثم راحت

باسترخاء كالطفل - في سبات عميق. واستيقظت بعد ساعة فجلست، وهي خجلة من نفسها ومن مواجهة لو لأنها نامت فجأة. فأخذت تفرك عينيها ونظرت إلى الأريكة المقابلة فلم تجده. قامت واتجهت إلى المطبخ ظناً منها أنه هناك، لكنها لم تجده. دخلت غرفة النوم فوجدتها خالية، ولما نقرت على باب الحمام لم يرد عليها أحد. ففتحت عينيها رعباً إذ انتابها الهلع. أين ذهب؟ ولماذا تركها؟ واتجهت بلهفة إلى الباب وفتحته فقابلتها رياح الليل الباردة وطالعتها الظلمة. وكل ما سمعته هناك كان صوت الصراصير أولاً، ثم نعيق البوم وحفيف أوراق الشجر. وتملكها الخوف وسرى في أوصالها كالأصابع الباردة. فرجعت ثانية إلى الكوخ وأغلقت الباب وقلبها يخفق بشدة. أين لو؟ ولماذ تركها وحدها هنا على التلال مع الظلمة والأشجار...

سارت عبر الغرفة إلى المدفأة بخطوات بطيئة حثيثة، يحيط بها السكون التام حتى أن حفيف ثوبها كان له وقع الصمت وراحت تحدّق في النار التي بدأت تتهاوى، وتضغط بيدها على قلبها المضطرب.

تراجع خوفها وانجلى بالتدريج وحلت محله سكينة جعلتها ترى الأشياء بوضوح على حقيقتها، فلا بد أن لو عائد من جولته الليلية عندما يحين الوقت، ولن يهتم إذا كان قد أقلقها غيابه، أو أخافها استيقاظها لتجد السكون والوحدة وهو ليس بجانبها. ابتسمت بمرارة. فحبها له لم يعمها عن سيئاته، إنها تعرفه جيداً، فهو كالقرصان المتعالي الذي يلبي إرادته دائماً، ويمدّ يده ليأخذ كل ما يروق له، ويهمل بدون تردد كل ما لا يروق له، وهو متحرر من الخوف والتردد، كما أنه ليس بالرجل الرقيق. وإذا حدث أن أثارت غضبه فلن تجد أمامها سوى الجحيم.

سمعت فجأة خارج الكوخ صوت أقدام ترتقي الدرج، فاستقامت

واقفة وأخذت يدها التي تمسك بقلبها تحس دقاته السريعة. استدارت نحو الباب وسمعت المفتاح يدور فيه، ثم رأته ينفرج ويدخل منه لو. وكان شعر فاي الباهت متناثراً على جبهتها، وقد انحسر ثوبها الحريري الليموني عن عنقها الرقيق. وبدا فمها جميلاً يوحي بالحب. وفي الوقت نفسه يذكر لو أن يفهم خوفها ويقدره.

أغلق الباب وأتى إليها، فبدا طويل القامة في هذه الغرفة المعتمة. وبقيت فاي بدون حراك وكأنها حبست في فخ صنعته عيناه المصوبتان نحوها. ومدّ إليها يديه السمراوين وجذبها إليه وضمها إلى صدره، وصدرت عنها أنة صغيرة تنمّ عن رضاها وسعادتها. فدفنت رأسها في صدره وهي تقول هامسة:

«أين ذهبت؟ وأين كنت؟ كل شيء كان ساكناً... ساكناً».

أمسك ذقنها بيده ورفع وجهها إليه، وأخذ ينظر إلى ملامحها وهو يقول والابتسامة تداعب فمه:

«مشيت إلى سفح التل وزرت السيدة باسكو، وهي المرأة التي تقوم على تنظيف الكوخ. إنها تملك مع زوجها مزرعة تبعد نحو نصف ميل. أخبريني يا فاي هل كنت خائفة؟ تمنيت أن تظلي نائمة حتى عودتي».

أمسكت فاي بكتفيه وقال:

«لم أتمكن من التفكير ولم أعرف أين ذهبت».

فاتسعت ابتسامته وقال:

«وهل ظننت أني أهجرك؟ وهل أهجر عروسي ليلة زفافها؟»

ثم ضمها وكانت عيناه داكنتين تبرق في عمقها أشعة جعلت فاي تنظر إليها مشدوهة... ثم أحنى رأسه نحوها ولمست وجنته وجهها وهو يقول:

«هل أنت خجلة مني يا فاي؟»

«نعم ـ قليلاً...»

«لا تخجلي مني. إنك خفيفة كالريشة... يمكنني أن أزيّن بك عروة سترتي».

«كأزهار القرنفل لدى ديللا؟»

سألته فاي ذلك وهي تبتسم.

وكانت ديللا لا تحب أن يعلّق لو إحدى أزهار القرنفل التي تعتز بها في سترته، وخصوصاً الأزهار ذات اللون الأصفر الفاتح، التي تنال الجوائز دائماً. ولكنه أتلف بعضها في أكثر من مناسبة، وكان يسخر من ديللا عندما ينتابها الغضب وهي ترى أزهارها تزيّن عروة سترته.

فضحك لو وقال:

«لا تلوميني في ليلة زواجي يا صغيرتي».

ومكثا في الكوخ أسبوعين يتجولان في التلال المحيطة بها، ويصيدان السمك، ويركبان الزورق ويسبحان ويتناولان الشاي مع السيدة باسكو وزوجها، حتى نسيت فاي أن تخاف المستقبل لفرط سعادتها بالحاضر... كانت تلال سيرينا توحي بالهدوء والسلام، ووديانها ومرتفعاتها تكسوها ألوان الخريف الرائعة، وتأكدت فاي أنها سوف تتذكر تلال سيرينا طوال حياتها.

وقال لها لو في نهاية الأسبوعين:

«سوف نستعد للعودة باكراً يا صغيرتي. فلا بد أن أرجع إلى عملي».

نظرت فاي إلى التلال المتشابكة من خلال النافذة، تودعها وتودع السلام والشعور بالراحة وبالرضا الذي تمتعت به في ذلك المكان.

وبدا لها الغد مخيفاً عندما تذكرت هوليوود... هوليوود بسمائها الصافية وشواطئها الذهبية المنبسطة وشهرتها وقلوب البعض التي تتحطم فيها... والبريق والاطراء والنجاح الذي يصادفه البعض الآخر.

وعليها أن تتقدم إلى هذه الدوامة اللامعة وتتقبل بهدوء، إذا أمكنها ذلك، كل النظرات والتعليقات والدهشة المطلة من العيون. ولكنها رفعت رأسها تحدياً وابتسمت لزوجها وهو يعلن رغبته في العودة إلى هوليوود. ثم سألها:

«هل استمتعت بهذه الفترة يا حبيبتي؟»

«عشقت هذ المكان واستمتعت بكل دقيقة فيه، وبكل ساعة منه».

وبعد ذلك بثلاثة أيام وقفت سيارة لو في المدخل المستدير الأنيق لعمارة كريستال كورت في هوليوود، حيث يستأجر لو شقة. وتطلعت فاي إلى العمارة البيضاء الجميلة بشيء من الخوف الممزوج بالتوتر، ولم يفارقها ذلك الشعور وهي تجتاز المدخل معه وتدخل المصعد الذي تقلها إلى الطابق الأخير.

تطلعت فاي من أحدى النافذتين فأدهشها المنظر: رأت طريقاً عريضاً نظيفاً على جانبيه أشجار النخيل ذات الجذوع السميكة اصطفت كالحراس... ومنازل جميلة وسط حدائق خاصة تظللها شجيرات الكاميليا وأشجار الليمون. وعندما خاطبها أجفلت واستدارت عن النافذة، وأمسكت بيد مدها إليها، وسطعت أشعة الشمس على شعرها فأحالته إلى لون الذهب. ثم أخذت تداعب ثوبها المصنوع من التيل الأزرق، وشعرت بدفء أصابع لو تقبض على أصابعها الباردة ويجذبها إلى الشقة التي باتت بيتها منذ اليوم.

كانت الشقة كبيرة وحديثة جداً ويفرش غرفة الجلوس بساط أزرق زاه يصل حتى الجدار الرمادي. وضع نبات الصبار في أوان حمراء وفي

الغرفة أريكة ضخمة بيضاء تتناثر على الوسائد الحمراء. وفجأة قال لو:

«تعالي أريني بعض حماستك للشقة».

ولكنها حولت عينيها وقالت:

«إنه مكن رائع يا لو».

وراح لو يراقبها فوجد يديها تقبضان بشدة على الحقيبة البيضاء، فغضب لأنه وجد أن الخوف يكاد يكسو وجهها. خطا عبر الغرفة إليها، وأمسكها من كتفيها وسألها قائلاً:

«ماذا يخيفك؟»

«ولكني لست خائفة».

«بل إنك خائفة... إنك تتخيلين هذه الغرفة وقد امتلأت بأصدقائي فترتجفين. ماذا تظنين أنهم فاعلون بك؟ هل سيلتهمونك؟»

وهنا كفت عن المكابرة، وهزت رأسها معترفة له قائلة:

«سوف يظنونني امرأة تافهة».

«نعم، إذا أشعرتهم بذلك، وإذا تصرفت كغريبة في بيتك فلا بد أنهم يضحكون استهزاء ويتكلمون عنك».

«ولكني أشعر أنني غريبة فعلاً. إنني... إنني...»

ولم تتمكن من مصارحته ولم تتمكن من القول: إنني خائفة يا لو. كل شيء هنا غريب يختلف عما رأيته وعرفته من قبل، فأعطني الوقت الكافي كي أتعوّد حياتي الجديدة، وتقبل خوفي بهدوء فسرعان ما يخبو ذلك الخوف ويموت.

لم تقو على قول ذلك فلن يفهمها، لأنه كان بعيداً تماماً عن كل خوف أو تحفظ لدرجة أنه لا صبر لديه نحو من ينتابهم الخوف. ابتسمت وهي تقول:

«سوف أتعوّد سريعاً على كل شيء في حياتي الجديدة».

ولكن ابتسامتها كانت ضعيفة وقلبها خائف. ووجدت أنها فقدت ثقة النفس التي كانت تتمتع بها أثناء إقامتها في سيرينا. أما لو فرد عليها قائلاً:

«أرجو ذلك».

وهكذا كانت حياة فاي الزوجية في هوليوود مزيجاً من الرهبة والاثارة تختلف تماماً عن حياتها الأولى. فهي خاوية فارغة لا يملأها شيء. ولا تلائم الفتاة التي عملت كممرضة منذ الثامنة عشرة. فهنا لا يكاد يطلب منها شيء. نظافة البيت تقوم بها إدارة كريستال كورت. ولا تعد من وجبات الطعام سوى وجبة الافطار كلّ صباح قبل ذهابه إلى الأستوديو. أما العشاء فيتناولانه دائماً خارج المنزل كل مساء. وكان هذا النظام يضايق فاي مع مرور الأيام. وظنت أنه من السخف أن يتناولا العشاء كل مساء في المطاعم الصاخبة المزدحمة بالناس بينما هي طاهية ماهرة ومطبخها يحتوي كل المعدات الحديثة. ولا تستعمله سوى مرّة واحدة صباح كل يوم.

لذلك قررت أن تغيّر من ذلك النظام. وذات مساء رجع لو من عمله فوجدها تعد المائدة في غرفة الجلوس بعناية فائقة. فتنسق الأزهار وتضع المفارش وتعد الشمع الأحمر الطويل في حاملات الشمع الجميلة التي اشترتها في اليوم نفسه. وفوجىء، عندما دخل إلى غرفة الجلوس. فبادرها بقوله:

«ما كل هذا؟ هل نحن في انتظار ضيوف؟»

فاستدارت فاي تبتسم له، وكانت ابتسامتها يشوبها بعض التوتر ثم قالت:

«فكرت أنه من المستحسن أن نتناول العشاء في المنزل ولو مرة واحدة».

ثم تقدمت نحوه وهي تتحسس الكشكشة التي تحيط بمريلتها وسألته قائلة:

«ألا توافق على ذلك يا لو؟»

ولكنه لم يجبها فوراً بل مكث برهة يفكر، وراحت عيناه تتفحصانها وتتركزان على مريلتها ثم قال:

«تبدين وكأنك من الخدم. اخلعي هذه الأسمال سريعاً ولا تمثلي دور عروس ريفية. فسنخرج لتناول العشاء».

دهشت فاي لتلك النبرة القاسية في صوته، وراحت تتفحص وجهه الذي بدا الغضب على كل قسماته ثم سألته:

«هل صادفك يوم صعبٌ يا لو؟»

«نعم».

ثم ابتعد عنها وراح ليسكب كأساً وأردف يقول:

«صادفتني ثلاث مشكلات اليوم يا صغيرتي. وأشعر كالشيطان عندما يغضب».

واحتسى الشراب دفعة واحدة وأضاف:

«رجال قسم الدعاية الأغبياء يثيرون الزوابع لأني طلبت كوني كار لتمثل فيلم الذرة في المدينة. ولكنهم تحولوا فجأة إلى رجال دين لأن هذه الممثلة الصغيرة والصبية الجميلة كانت قد تورطت في فضيحة منذ ثلاثة أشهر! وماذا يهم. إن هذه الطفلة يمكنها التمثيل... لا فرق ما تفعله بعد ساعات العمل؟ إنني لا أهتم لذلك أبداً».

فسألته فاي قائلة:

«وماذا حصل يا لو؟ هل أمكنك إقناع رجال الدعاية بالسماح لها أن تمثل؟»

وتألقت ابتسامة صغيرة فجأة على فمها عندما تخيلت الضجة

الغاضبة التي سادت مكاتب الدعاية في هذا اليوم. وكان عليها أن تتعلم أن اللجام كان شيئاً يأباه لو ويقاومه بقوة. مثل قوة الحصان الجامح الذي لا يقهر. ومثل ذلك الحصان الجامح ترى أنه يثير الدمار والخطورة كلما انتابته هذه الحالة.

ولما رأى ابتسامتها شاركها بضحكة ثم قال:

«نعم حصلت على كوني».

واقترب لو من فاي وأمسك ذقنها ورفع إليه وجهها وقال:

«يؤسفني أن أفسد عليك ترتيب العشاء. ولكني أريد الليلة موسيقى وصخباً».

«ولكن لدينا دجاجة في الفرن الآن».

«هذه مشكلتك يا حبيبتي. وليست مشكلتي».

ثم استدار وقصد غرف النوم وهو يفك رباط عنقه. ولكن فاي جرت وراءه وأمسكت بيده وقالت له:

«إنك لست عادلاً يا لو».

ونظرت إليه برجاء، واستطردت قائلة:

«وهل هذا شيء كبير أن أطلب منك أن تبقى في المنزل ليلة واحدة ونأكل عشاءنا بمنزلنا؟».

فقال لها وقسمات وجهه يبدو عليها التعالي:

«اسمعي... أنا أعمل عملاً شاقاً طوال اليوم وأتطلع إلى البهجة في المساء. ويؤسفني ألا يصادف ذلك رضاك يا سيدة مارش. ولكن عليك أن تتعودي تحمل نزواتي البوهيمية فيما أحب أو أكره. وإلا فستظل تتعرض لمثل هذه الحرب مساء كل يوم. فأنا لم أخلق كي أكون حيواناً منزلياً يا صغيرتي. اتركي المحاولة فالنمر لا يرقد على عتبة المطبخ. ثم أبعد يدها عنه. وقصد الحمام وهو يلقي بسترته ورباط

عنقه على السرير. وترددت فاي... ماذا تفعل؟ لو بالغ الغضب. ومن السخف ان تستمر في المجادلة. وفي الوقت نفسه تعبت في إعداد العشاء. فالدجاجة نضجت الآن وصارت ذهبية اللون. والثلاجة تحتوي على الخوخ المغمس في الجيلي، بجانب المثلجات. لكنها هتفت تكلم نفسها: «للأسف سوف يذهب هذا العشاء الفاخر هباء».

والتفت لو إليها وهو داخل إلى الحمام وقال:

«سوف نأكل الدجاجة باردة في وجبة الافطار».

«وهل نأكل الطماطا كذلك باردة ورؤوس الكشك المالي؟»

«وهل سلمت سلاحك؟».

قال هذا وهو يلتفت إليها ويبتسم ثم أكمل يقول:

«ألا يخيفك أن أتعشى وأراقص إحدى الشقراوات الصغيرات إذا لم تخرجي معي؟ إنك تعلمين أن في إمكاني أن أفعل هذا يا صغيرتي».

وبرغم أن قوله هذا ألقاه بعدم اكتراث، فهو ينطوي على معان كثيرة. أيقظت التحدي في فاي وجعلت روحها الهادئة تهب في غضب جامح. إذ شعرت أنه واثق من طاعتها... واثق أنها لن تخالفه في شيء. وأنها تعتبر زواجهما شيئاً رقيقاً هشاً كآنية زجاجية تخاف عليها وتعتني بألا تكسرها، فيفشل زواجهما.

وبكل هيبة ووقار جابهته لتقول له:

«اذهب وراء مسرّاتك يا لو... تعش وراقص مئات الشقراوات إذا شئت ولكني سأبقى في المنزل وأتناول عشائي الرائع. ثم أدخل سريري ومعي كتابي. ولن أعاتبك حين تعود أبداً».

ثم استدارت وتركته عائدة إلى المطبخ. وهي تشعر بسعادة غامرة

ولكن هذه السعادة تلاشت في الواحدة والنصف صباحاً. عندما فتحت المصباح الجانبي للسرير للمرة الرابعة. وراحت تنظر إلى الساعة

الصغيرة بجانب السرير، وأخذت أصابعها تتخلل شعرها وهي تحاول البحث عن النوم فلا تجده، ثم تغوص في السرير الكبير وتسحب الغطاء الحريري عليها حتى ذقنها.

وكان اعتداد لو بنفسه لا ينال منه شيء... كان كالبريق الذي يكسو سطح الأشياء، ومن الصلابة بحيث لا يلينه الحب. وعكس فاي التي تلين لأقل عاطفة أما الآن فهي مشوشة العاطفة بعد الشجار بينهما وأخذت تلوم نفسها لأنها كانت السبب في هذه الليلة. وكان من الأفضل أن تخضع له، فهو لم يطلب منها شيئاً سوى أن تكون عونا له على تناسي تعبه بعد يوم عمل طويل قاس كانت غلطتها أن تمثل دور ربة البيت، فهي لم تكن في الواقع كذلك بل هي تحفة أخرى من التحف التي تزين منزله، والتي قد يعجب بها إذا أراد وقد يدعها في مكانها. ثم تناساها وانكمشت في فراشها إذ شعرت بوقع أقدامه في غرفة الجلوس وسمعته يصفر أحد الألحان التي يحبها. فلم تتحرك من فراشها فربما ظن أنها نائمة. وفتح باب غرفة النوم ثم أوصده. واقترب صوت صفيره من الفراش ثم فتح المصباح فسبحت فاي في نوره الوردي. وكانت تعرف أن لو يراقبها وينتظر أن تستدير له وتخاطبه. ولكنها لم تفعل فهو الذي يجب أن يتنازل أولاً. وكم رغبت في ذلك.

وهمس لو يقول

«فاي، هل أنت نائمة؟»

لم تتحرك ولكنه عرف بغريزته أنها ما زالت مستيقظة قلقة عليه. وبضحكة خفيفة جلس على حافة الفراش ومد يده وجذبها من تحت الغطاء، وأخذها بين ذراعيه وتقلصت شفتاه وهو ينظر إلى وجهها الذي كساه التمرد، ومد أصبعه يداعب خدها ويقول

«ألا تسأليني أين ذهبت وماذا فعلت؟»

فقابلت نظراته بتحدٍ وقالت:

«لست أدري إن كنت قادرة على ذلك».

فسألها:

«هل أنت خائفة من الكذب أم من الحقيقة؟»

وكان من الواضح أنه يضحك منها، فردت عليه:

«يبدو أنني خائفة من الأثنين معاً».

قالت ذلك معترفة، وهي ترتجف قليلاً من تأثير لمساته لها، واحتقرت نفسها سراً لضعفها وخضوعها له.

ثم ضحك لو وقال لها:

«ألا تريدين التفتيش في سترتي على شعرة شقراء؟»

فهزت رأسها نافية، وهي تتراجع عن السخرية التي بدت في عينيه... عيناه كانتا تقولان إنه لا يهم أن تكتشف شعرات شقراء على سترته أو لا تكتشف، وشعرت بسهم الألم يخترق قلبها. فوجدت نفسها ترتمي في صدره، وتدفن وجهها في عنقه الداكن، وراح ينفخ في شعرها المتناثر على جبهتها كشعر الأطفال، وانتابه حب الاستطلاع وهو ينظر إليها وينقل نظره بين كتفيها الدقيقتين وبين تقوس قدميها الصغيرتين الظاهرتين من ذيل رداء نومها الأزرق. إنها تبدو طيبة فهل هي طيبة حقاً هذه المخلوقة ذات الفم الداكن، والقلب الذي يخفق بجنون تحت كفه. هل هي طيبة أم هي مثل غيرها من النساء... امرأة مخادعة سطحية برغم مظهرها الذي ينم عن حلاوة ونعومة؟ وعندما تغطي أهدابها الطويلة عينيها، مثلما تغطيها الآن، أيّ سر تنطوي عليه هاتان العينان ولا ترضى أن تبوح به؟ ثم قال لها بلهجة آمرة:

«انظري إليّ يا فاي».

لكن وجهها غاص أكثر في عنقه، وشعر لو أنها ترتجف قليلاً وهمست تقول:

«لا أريد أن نتشاجر. يجب أن تكفّ عن ذلك يا لو. أرجوك».

فرد يقول:

«إنه شيء مؤلم... أليس كذلك؟»

ثم أخذ ذقنها بيده وأجبرها على أن تنظر إليه. فبدت صغيرة لا حول لها ولا قوة بين ذراعيه، وتناثر شعرها الذهبي على سترته السوداء، وأظهر قميص نومها الأزرق لون ذراعيها الرقيقتين وتخيّل لو، وهو يبتسم إنها كالفراشة الحبيسة. فقال:

«استمعي إليّ جيداً يا صغيرتي... عندما يبذل المرء كثيراً من الجهد كي يروض مجموعة من الممثلين والممثلات طوال اليوم عليه ألاّ ينقل هذا الجوّ المتوتر إلى منزله. ولذا يجب أن تتجنب الانفعالات التي لن أقبلها».

وجلست في الفراش، فانحسر الغطاء الحريري عن كتفيها فبدتا رقيقتين بلونهما الأبيض، وانعكس عليهما ضوء المصباح ذي اللون الوردي. ورآها لو في المرآة. وبرغم أن عينيه اتسعتا دهشة وأن رقتها وشبابها ما زالا جديدين عليه وعلى فراشه وعلى منزله... وأنها قادرة على إثارته برغم ذلك التفت إليها بوجه عابس وقال:

«إذا كنت مصممة على الردّ فأقول لك إنك تشبهين فتاة كنت أعرفها. والآن دعينا نغير هذا الموضوع».

«فتاة كنت تعرفها؟»

واتسعت عيناها وبان فيها الألم.

وفجأة أطاحت بتحفظها وتحررت من كل ما يقف ضد صفحها عن لو، وفتحت له ذراعيها، ولم تهتم في تلك اللحظة أنه لم يقل لها، وربما

لم تكن عنده النية أن يقول لها. أين وبصحبة من أمضى تلك الساعات التي تعذبت فيها، ثم سألته وهي تتكلف الضحك قليلاً:

«بعض من ماضيك يا لو؟»

فوقف بقامته الطويلة يراقب ضوء المصباح الوردي وتأثيره على ذراعيها المدورتين، ثم أتى إليها وهو يضحك فاحتوته بين ذراعيها وشعر بها وهي تضمه فأجاب:

«نعم بعض من الماضي!»

٢ - وحوش !

«نعم بعض من الماضي ...»

بقيت هذه الكلمات عالقة بذهن فاي مدة طويلة. كانت تعلم أنها تعني امرأة اخرى، وأن هذه المرأة صنعت من لو ذلك الرجل القاسي المستهتر.

ولذلك دأبت فاي عندما كانت ترتاد الحفلات أو المطاعم على البحث عن وجه ربما تجد فيه شيئاً من وجهها،وكانت تلك الحفلات تقام في هوليوود بكل جنونها وصخبها، وكأنها دوامات ذات صوت هادر، حيث يجتمع كل من لهم صلة بالسينما في مجموعات صاخبة، ويتكلمون كثيراً عن كل شيء يتصل بالأفلام. وكانت فاي تظن أن هذه الحفلات تعتبر إكسير الحياة لأي شخص له علاقة بصناعة الأفلام، ولكنها هي كانت تجدها مقلقة وتشعر فيها بالوحدة والحيرة ... وذلك لأنها كانت خارج تلك الدائرة الساحرة. وحتى لو كان ينسى فاي عندما يأخذه أحد زملاء العمل إلى ركن بعيد في الغرفة، حيث يبقى إلى آخر الحفل غافلاً عن وجودها تماماً.

ومن العجب أن تلتقي فاي بكليو نيكسون في واحدة من تلك الحفلات، وكانت كليو أول صديقة حقيقية صادقت فاي في

هوليوود .

أنها زوجة أحد المصورين السينمائيين اللامعين الشبان، كان يصوّر في الاستوديو حيث يعمل لو . وقد أحبّت الفتاتان إحداهما الأخرى، وأصبحت كل واحدة منهما تنادي الأخرى باسمها مجرداً من اللقب، وتسخط على هذه الحفلات الصاخبة في انسجام تام في الرأي. وهتفت كليو تقول :

«هذه الحفلات كالجحيم.»

اجابت فاي :

«أحضرها لأن زوجي يحب مواكبة الأحداث. فإذا كان المرء طموحاً يجب ألاّ يقبع في منزله وينتظر الفرص حتى تأتي لتقرع بابه. هذه الحفلات هي المكان الذي يتقابل فيه المرء مع الشخصيات البارزة».

وأشارت كليو إلى شخص قصير القامة ممتلئ الجسم، ويلبس نظارة ويغرق في محادثة مع شخص آخر. وقالت :

«هذا هو تد ... في إمكانه أن يتكلم حتى الصباح عندما يعنّ له ذلك.»

ثم استطردت تقول وهي تلقي نظرة كلها حب وإعجاب إلى الشاب البدين:

«انظري إليه. إنه يملأ المكان هناك بالكلام.»

ونظرت إلى فاي ضاحكة ثم قالت :

«إننا زوجان. نحب الكلام ومن العجب أن ابننا دائم الصمت.»

ثم نظرت إلى فاي وقالت :

«إنك تبدين بعيدة عن كل ما يحيط بك. وأرجو ألا يغضبك هذا القول. فهل أنت جديدة على هوليوود ؟»

ردت تقول :

«أنا من انكلترا».

فبانت الدهشة في عيني كليو وقالت :

«هل هذا صحيح ؟ وهل تحبين هوليوود ؟»

«لا أجرؤ على قول الحقيقة».

وتراقصت على فمها الرقيق ابتسامة، وسألت نفسها هل تصارح هذه الفتاة بما لم تقو على قوله لزوجها ؟ وهو أن هوليوود تخيفها وتكاد تنزع روحها ؟ وأن معظم الناس الذين قابلتهم في مثل هذه الحفلات يشلونها ويجعلونها تشعر بالبرودة لجرأتهم وطموحهم ؟

والآن بعد أن عرفت كليو احست أنها تود مصارحتها بكل شيء. ولكن ولاءها للو جعلها تتراجع. فكل ما أمكنها قوله هو :

«جوها رائع وأنا لم آكل فاكهة بهذه الكثرة من قبل».

فردت عليها كليو تقول :

«إذن هذا هو سبب بشرتك الرائعة».

ثم ابتسمت عندما رأت الدم يكسو وجه فاي . ثم انتقلت عيناها إلى خاتم الزواج الذي كان يلمع في أصبع فاي وقالت :

«يبدو أنه لم يمر على زواجك وقت طويل».

وابتسمت وهي تستطرد قائلة :

«مكتوب على مظهرك أنك عروس جديدة... فمن هو الرجل السعيد؟»

وتلفتت فاي تبحث عن لو بقامته الطويلة. فرأته بجانب إحدى النوافذ، وكانت سمرته جذابة والسيكار يتدلّ من فمه وهو يتحدث مع امرأة مهيبة الشكل لا يمكن تحديد سنها بالضبط وعرفتها فاي لتوها فهي كلير ربي وأدهشها أن يحادث زوجها تلك النجمة، الذائعة الصيت، بدون كلفة. ثم قالت فاي وعيناها تبرقان :

«ها هو !»

ففغرت كليو فمها من المفاجأة، وأطلقت صفيراً يعبر عن الدهشة وقالت :

«أنت متزوجة من لومارش ! من الذي يصدق ذلك!»

ثم حدقت في وجه فاي وقالت بأسلوب مبهم :

«اسمحي لي أن أقدم لك تعزيتي ...»

فضحكت فاي ولم تغضب لأنها أحبت هذه الفتاة كثيراً. ثم قالت ببساطة :

«إن السيكار وحده هو الذي يجعله يبدو كرجل أعمال هام».

قالت ذلك وهي تنظر عبر الغرفة إلى لو

كانت هناك قصص كثيرة عن ذلك الرجل، وكانت كليو دائماً تتخيله بطلاً لكل هذه القصص. فبدا لها أنه من القسوة أن تكون هذه الفتاة الحلوة ذات الثوب الخوخي الذي يجعلها تبدو في السادسة عشرة من عمرها، مرتبطة به. فهو قاس متعال بعكس تدي الوديع الهادئ.

«أتخليه يلتهمك بأسنانه البيضاء المفترسة !»

ابتسمت فاي وأخذت تلك الغمازات، في خديها، تظهر وتختفي تبعاً لابتسامتها وهي تقول لكليو عاتبة :

«إنك لا تبدين الاحترام لواحد من أكثر مديري الاخراج في هوليوود أهمية».

فردت عليها كليو قائلة، وهي تنظر إليها من فوق حافة الكأس وتبتسم :

«وهل هو يدير شؤونك ؟»

ثم أردفت تقول بسرعة :

«لا تردي على هذا السؤال يا حبيبتي. فأنت لست مجبرة على ذلك».

«حقاً»

وراحت فاي تلمس الأحجار البراقة التي تحيط بخاتم الزواج وصوبت نظرها نحو لو فرأت زوجها وكلير ربمي وقد لحق بهما رجل طويل أشقر يرتدي سترة واسعة من القطيفة الأرجوانية الداكنة فابتسمت فاي إذ كانت تحب بيل سيانز بعينيه الزرقاوين وأدبه الجم الذي يبديه لكل النساء. وكان بيل كاتباً مرموقاً وبرغم أن لو و بيل ليس بينهما عامل مشترك إلا أنهما من أعز الأصدقاء.

وسألت فاي كليو:

«هل تعرفين بيل سيانز؟

فردت كليو تقول:

«ومن لا يعرفه؟ إنه قديس! وأراهن أنه إذا أجري استفتاء عن أحب شخصية في هوليوود فلا بد أن يظهر اسم بيل على رأس القائمة. فهو مهما كان مشغولاً أو مريضاً لا يتردد عن مساعدة شخص واقع في مأزق، ويوزع المكاسب من كتبه على الفقراء».

همست فاي تقول:

«وعلى نهج القديسين سوف يموت بيل في شبابه».

فحدقت كليو في فاي بنظرة تعبر عن الدهشة وهي تقول:

«ماذا تعنين ؟»

فردت فاي تقول:

«إنه رجل مريض. وقد أخبرني لو بذلك.»

«لا تقولي هذا.»

«لديه حالة في الدم لاشفاء منها ولا دواء لها.»

«بيل سيانز من بين كل رجال العالم !»

وضغطت بيدها على الكأس وقالت:

«إذن ليس عجباً أن ترى في عينيه تلك النظرة البعيدة. وكأنه يشاهد الجنة.»

ثم انتفضت وكأنها ترمي بالهموم عن عاتقها وقالت:

«دعينا نتكلم الآن عن ولدي الصغير حتى تبعد عنا الكآبة.»

فقالت فاي لتوها:

«يسعدني أن نتحدث عنه. هل يشبهك ؟»

«لا أبداً ...»

ثم بدأت فاي ترى كليو كثيراً بعد ذلك الحفل. وكانت شقتها خالية دائماً أثناء النهار. فلو يتغيب عنها لساعات عديدة ولذلك رحبت فاي بصحبة كليو المسلية. وكانت فاي مزودة بمصروف سخي منحها إياه لو فتمتعت بشعور جميل لتمكنها من دخول أي محل.

وعندما كانت فاي ترفض زيارة المحلات التجارية. كانت كليو تصحبها إلى زيارة معالم المدينة. فتريها منازل كبار النجوم المختفية وراء أسوار الحدائق. وكان أحد هذه المنازل تملكه نجمة الشاشة المعروفة أسترا جيمس . لكنه الآن يقف خاوياً مهملاً وسط حديقة تغطيها الحشائش. وقد اجتذب اهتمام فاي به لدرجة أنها دخلت مع كليو من فتحة في السور الحديدي الذي يحيط بحديقة المنزل. وتسللتا بحذر بين الحشائش الطويلة لتنظرا داخل نوافذ الطابق الأرضي.

فبدت غرفة الاستقبال مستطيلة الشكل عالية السقف يتراكم الغبار على محتوياتها. ولم يبق من فخامة المكان سوى المدفأة برخامها. والسقف بنقوشه الرائعة التي تمثل جنيات الغابة نصف العاريات. وهن يهربن هلعاً أمام هجوم المخلوقات الخرافية التي

نصفها على هيئة رجل ونصفها الآخر على هيئة حصان.

ثم همست كليو تقول :

«ألا تتخيلين أسترا جيمس وهي واقفة أمام هذه المدفأة ترتدي ثوباً من قماش اللاميه الذهبي، وعيناها مصبوغتان وتمسك بيدها كأس الشراب ؟»

فهزت فاي رأسها وقالت :

«ماذا حدث لها ؟ كانت ذائعة الصيت في وقت ما.»

فردت كليو تقول :

«أظن أنها أفلست، في أي حال تركت هوليوود منذ سنوات. وكانت تملك أكثر من اللازم من كل شيء، جمالاً رائعاً ومعجبين، مما كان له أثر سيء عليها في النهاية. ومن يدري ربما تزوجت رجلاً طيباً واستقرت معه في أحد الأحياء البعيدة الهادئة.»

فبدا على فاي الشك وقالت :

«بعد كل هذه الشهرة ؟ هل يمكنها ذلك ؟»

فهزت كليو كتفيها وقالت :

«الدنيا كلها متناقضات يا عزيزتي.»

ثم أردفت تقول :

«ولا أحد يعلم كيف يتصرف إذا وقع في مأزق، فبعضهم ينتحب وبعضهم يموت، وقد يبقى البعض كي يناضل ولكنه قد يفر هارباً بعد ذلك.»

وكان من عادة فاي وكليو تمضية معظم الوقت على الشاطئ، يصاحبها ابن كليو الصغير إيريك الذي كان يجري ويلعب بنشاط تحت أشعة الشمس.

وكان إيريك يختلف تماماً عن والدته، فقد كان طفلاً جاداً أشقر،

ولذلك ظنّ رواد الشاطئ خطأ أنه ابن فاي . وعلقت كليو على ذلك بقولها :

«إنك تمثلين الأمومة يا فاي . فالكل يحسبونك خطأ أم إيريك . ولذلك يجب أن يكون لك طفل.»

خجلت فاي واصطبغ وجهها بالدم - إنها تحب الأطفال، والأطفال يحبونها، لكنها لا تظن أنهم مدرجون في تخطيط حياة لو . ولم تفهم كليو سبب خجل فاي فقالت لها :

«هل معنى ذلك أنك تنتظرين طفلاً بالفعل ؟»

فهزت فاي رأسها بالنفي، أما كليو فأخذت تتطلع إلى فاي وهي تحتضن إيريك بحيث يتجاوز رأساهما الأشقران وتقول :

« لو يختلف تماماً عن تيد الذي يمكنك التصرف مع أمثاله من الرجال العاديين. أما لو مارش فهو وسيم للغاية. ألا يخيفك ذلك يا فاي ؟ ألا تشعرين بالقلق دائماً ؟ لو كنت مكانك لفعلت. ولذلك أحمد الله على أن نصيبي تيد وإني متأكدة أنه لن يسبب لي أي قلق مثل قلق باقي النساء.»

فردّت فاي تقول بعناية وهي تمرح مع إيريك وتدغدغه، وتخفي وجهها عن عيون كليو المليئة بالفضول :

«إني لا أفكر فيما يأتي به الغد.»

«فلماذا تزوجت ذلك الرجل ؟ انا متأكدة أنه وسيم للغاية ولكني أرى أنه إنسان لا يطاق، بينما انت طفلة رقيقة طيبة القلب.»

ثم أردفت بصراحة :

«إنك أطيب من أن تكوني زوجته.»

فنظرت فاي إليها وهي تبتسم وتسألها :

«هل فاجأت الجميع بشخصيتي ؟»

«الكل يقولون إما أنه مجنون أو أنه مجنون بك. فأي الرأيين صحيح ؟»

«ما هو رأيك أنت ؟»

فراحت كليو تتفحصها وتتأمل وجهها وقامتها، ودقة عظامها، وعينيها الواسعتين الصريحتين، برغم ما يبدو فيهما من خجل، وفمها البريء الرقيق. ربما راقت فاي للوحش الكامن داخل لومارش. فهي إنسانة رقيقة يمكنه أن يؤثر عليها بسحره ثم يحطمها. فهو، على ما يبدو، تعب من تحطيم ذلك الصنف المجرّب من النساء. ثم هتفت كليو باهتمام:

«يا فاي لا تحبي هذا الرجل كثيراً».

سألتها فاي قائلة :

«لماذا تقولين ذلك ؟»

هزت كليو كتفيها قائلة :

«أنا متأكدة أنه قاس صلب وإني أشفق عليك فهو قادر ان يؤلمك. الرجال من نوعه يصاحبون النساء، لكنهم لا يكنون لهن عاطفة الحب بل الاحتقار».

«قد يكون ذلك صحيحاً».

وأدارت فاي نظرها نحو البحر الأزرق إذ لمست شيئاً في عيني كليو وفي صوتها جعل أصابع الخوف تعصر قلبها. ماذا تعرف كليو عن لو ؟ وماذا أتى بذلك القدر من الاشمئزاز الشديد إلى عينيها البنيتين ؟

وشعرت فاي برغبة شديدة في استجواب كليو عن ذلك، ولكن هذه الرغبة بعثت فيها رهبة قوية جعلتها تقفز واقفة وهي تمسك بيد إيريك وتسابقه على الرمال وتنزل معه في البحر.

لم تكن فاي تريد أن تعرف ما تعرفه كليو فهربت إلى

البحر. كل الماضي الذي عاشه لو قبلها لا يهمها في شيء، ففيه إيلام لقلبها، وفي ذلك الماضي الفتاة التي أحبها ثم قتلت ذلك الحب.

سمعت فاي كليو تقول ذات يوم : «إني أحمد الله على زوجي تيد ». ولم تمض أيام على ذلك حتى فوجئت فاي بدخول كليو وهي تنخرط في البكاء الحار وتلقي بنفسها على الأريكة. فركعت فاي بجانبها وهي تقول :

«ماذا بك يا كليو ! هل حدث شيء لا ريك؟»

فردت كليو تقول بين عبراتها :

« تيد يطلب الطلاق مني. إني لا أصدق ذلك فلقد ظننت أنه يحبني.»

وخيل لفاي أن عبراتها تكاد تقطع قلبها، إذ أخذت يداها تتقلصان على الوسائد الخضراء وراحت فاي تراقب كليو : كانت واثقة من حب تيد لها. فقالت لها :

«إني آسفة، يا كليو . آسفة جداً.»

«كنت خالية الذهن فلم يخطر ببالي أن تيد له علاقة بامرأة أخرى، وكنت أظن عندما يتأخر في العودة إلى المنزل ليلاً أنه ينهي بعض أعماله كنت أصدقه عندما ما يقول لي ذلك. وظللنا متزوجين لمدى سبع سنوات يا فاي».

ثم جلست وأزاحت شعرها الأسود عن وجهها المبلل بالدموع وقالت لفاي :

«هل تظنين أنك تعرفين رجلك بعد سبع سنوات ؟لا أبداً. وهذا يدل على أنه من السهل على المرء أن يخدع.إنهم وحوش. كل الرجال وحوش. وإلاّ ما كانوا يقدمون على هذا العمل.

ثم ارتفع صوتها وتهدج وقالت :

«كيف نقع في حبهم ؟ ومن يدفعنا إلى ذلك ؟»

«ربما خلقنا أغبياء.»

ثم أحاطت كليو بذراعيها وقالت:

«لست أدري ما أقول لك، فالكلمات لا تساعد في شيء ... اسمعي إني ذاهبة إلى المطبخ لعمل القهوة.»

هزت كليو رأسها موافقة وأخذت تكفكف دموعها بمنديل صغير مشغول بالدانتيل وقالت:

«نعم، جهزي القهوة فإني بحاجة لها.»

ولكن عندما عادت فاي بالقهوة كانت الغرفة خالية - ذهبت كليو وتركت الوسائد الحمراء منثورة على الأريكة ومنديلها ملقى على الأرض. وضعت فاي أدوات القهوة وانحنت تلتقط المنديل ... مسكينة كليو ... كانت سعيدة بالأمس القريب تضحك بمرح في ذلك المطعم الصغير الأنيق وتقول لفاي إن تيد يفكر في شراء سيارة زرقاء جديدة.

ولكن في ذلك الوقت كان تيد يفكر في طلب الطلاق!

وبعد أيام قليلة وصلت فاي رسالة حزينة من كليو . فقد تركت هوليوود ورجعت مع إيريك إلى منزل أهلها كتبت تقول:

«مات حبي لتيد، مات الآن يا فاي، وبقي لي إيريك، وإني أحمد الله لوجود ابني الصغير معي.»

تقلصت يدا فاي على الرسالة، وراحت تفكر، وعرفت فاي أن كليو المرحة لن تضحك ثانية.

وكان معنى رحيل كليو عن هوليوود أن تبقى فاي وحيدة. ولاحظ لو أنها تشعر بالوحدة والاكتئاب ولذلك اصطحبها معه ذات

يوم إلى الاستوديو.

وهناك تسلمتها سكرتيرته بات ميري ويذر وهي سيدة شقراء يملأ وجهها النمش وقال لها لو:

«دعي صغيرتي تشاهد العمل هنا يا بات . فهي طفلة هادئة طيبة ولا أود أن تضل طريقها هنا.»

وبسرعة قبل فاي على وجهها وتركها.

فضحكت بات وشبكت ذراعها في ذراع فاي وقالت:

«إعتبري نفسك محظوظة جداً يا سيدتي فمحظور على الضيوف زيارة الاستوديو ومن الواضح أن لو استخدم نفوذه مع ك . ك .»

فسألت فاي:

«من هو ك . ك .»

«إنه معروف بين الأشخاص المرموقين باسم كارل كريستابل»

ثم ضحكت وقالت:

«هو يا حبيبتي مصدر رزقك.»

فردت فاي تقول:

«هل هو رئيس لو ؟»

«تماماً.»

طافت فاي لمدة ساعتين في الاستوديو، تلك الدنيا الخيالية، مع بات ماري ويذر . وفي الحقيقة أنهت الأصوات الغريبة والمناظر المثيرة شعور الوحدة والاكتئاب الذي كانت تعاني منه.

رأت هناك شاين آردث .. البطل السينمائي الجديد الذي نال صيتاً واسعاً، وهو يمثل حقبة مؤثرة من الحرب الأهلية الأمريكية، واستمتعت بسماع سيلفا كوبردين - المغنية السمراء الجميلة - الآتية من نيو اورلينز وهي تسجل لقطة من استعراض موسيقي جديد. وكانت

فاي تقفز لتوسع طريقاً لعربات الترولِّي المحملة بلوحات المناظر الثقيلة. فاصطدمت بشدة بشاب شعره أسود مجعد، وعيناه لوزيتان ضاحكتان. وسرعان ما أسندها بيديه وضحك في وجهها وقال :

«يا إلهي ! إنك جميلة جداً.»

فضحكت بات لرؤيه الهلع الذي بدا في عيني فاي وجعلهما تتسعان. ثم قالت للشاب :

« جيري ... أقدم لك زوجة رئيسي.»

« لو مارش !»

فراح يتصنع الخوف وقال :

«إن طول لو يبلغ سبعة أقدام فيحسن بي أن أبحث لنفسي عن قطعة أخرى من الحلوى ! »

وضحكت عيناه اللوزيتان في وجه فاي وقال :

«إنك ندية كزهرة الأقحوان يا صغيرتي. قولي للرئيس الكبير إنني قلت ذلك واسمي جيري كوفمان وسوف تريته يثور لذلك.»

وذهب وهو يضع يديه في جيبي سترته. فهتفت فاي تقول :

«يا إلهي !»

وردت بات :

«إنه ماهر مثل النسناس ولكن للأسف لا مبادئ». وربما رأيناه الآن في مشهد من فيلم «ذرة في المدينة» الذي يقوم بتمثيله. والآن ما رأيك في أن تطفي، ظمأنا في المقصف، حيث نحتسي القهوة ونأكل الكعك ؟

فردت فاي لتوها :

«كم أود ذلك.»

وكان المقصف ممتلئاً. وتلفتت فاي تنظر بدهشة إلى الممثلين والممثلات في ملابس التمثيل المختلفة والزينة الصارخة، وهم جالسون

جماعات وأفراداً على الموائد المجاورة. ولم يبد عليهم مظهر براق، بل كانت هيئتهم غريبة وكأنهم في حفل تنكري.

ثم قالت فاي لبات ، وهما جالستان تحتسيان القهوة وتأكلان الكعك :

«إن بعض ما أرى يزيل أوهامي.»

ثم أشارت نحو شاغلي الموائد القريبة وقالت :

«هؤلاء يبدون كالمهرجين.»

«يا حبيبتي، هذا عبارة عن مصنع كمصنع الأثاث. فعندما ترين المسامير تدق في الخشب والصمغ يلصق عليه تدهشين كيف تبدو قطع الأثاث جميلة في المعارض. وهذا ما يحدث في عالم السينما تماماً.»

ثم غمست قطعة الكعك في القهوة، وقضمت بأسنانها البيضاء قطعة الكعك المبتلة فاستمتعت بها كثيراً.

والتفت بات بنظرها وراء فاي فضاقت عيناها وبدت على وجهها علامات الضيق والألم. ثم قالت :

«ها هي تاليا فان دين الشنعة آتية إلى هنا.»

وعضت فاي شفتيها فقد كانت هذه المرأة محررة زاوية الفضائح والاشاعات في إحدى المجلات، وكانت فاي قد قابلتها مرة من قبل وشعرت نحوها للتو بكره شديد.

واحست فاي بذلك الشعور الآن ، فتقلصت أصابعها بشدة على فنجان القهوة ثم قالت لبات :

«ظننت أنك ذكرت أن الضيوف غير مصرح بدخولهم الاستوديو. أليست تاليا من الضيوف ؟»

فردت بات تقول :

«تاليا يا عزيزتي دجاجة الرئيس [illegible]راء الصغيرة. فعندما يشعر بالسأم

تحضر ثاليا كي تداعبه وترفع من روحه المعنوية.»

«وهل هذا صحيح ؟»

فابتسمت بات وأمسكت بقلبها وقالت :

«نعم أقسم بذلك !»

ثم سمعتا صوت كعب حذاء ثاليا يطأ الأرض من خلفها، وشمت فاي عبير عطر غريب يداعب أنفها. ووصلت ثاليا إلى المائدة، ترتدي ثوباً يتلاءم تماماً مع لون عينيها الخضراوين. وأخذت تبتسم بوقاحة ثم قالت :

«ها هي عروس لو الصغيرة. يسعدني أن أراك ثانية.»

ثم صوبت عينيها الخضراوين إلى بات التي غمست الكعكة في القهوة بدون اكتراث وهي تقابل نظرتها الخبيثة. وقالت لها ثاليا :

«ليس عجباً أن تزيدي وزناً يا بات كيف تأكلين هذه الأشياء المقززة المليئة بالمواد النشوية ؟»

ثم جلست برشاقة على مقعد يواجه فاي ، وأخرجت علبة سكائر، وقالت :

«لن أقدم لك إحدى سكائري فهي مصرية وقوية جداً ولها طعم خاص.»

وابتسمت وبرقت عيناها الخضراوان وهي تضع في فمها سيكارة رفيعة يميل لونها إلى الاصفرار وتقول :

«كيف تجدين هوليوود ؟ هل تحبينها ؟»

«نعم. وأشكرك.»

قالت ذلك وهي تتفادى رائحة السيكارة ثم رجعت ثاليا تسأل فاي :

«وهل تحبين الحياة الزوجية ؟»

«نعم ... وشكراً.»

ثم رفعت فنجان القهوة وشربته بسرعة . فضحكت بات وقالت :

«إن أي فتاة تعد غبية إذا لم تحب الحياة الزوجية مع رجل مثل لو مارش .

فتقلصت شفتا ثاليا وقالت :

«إنك دائما جافة جداً يا بات . فهل أنت تحبين جلب الألم للناس أم هذه هي شيمتك ؟

فردت بات تقول :

«لست جافة بل أمينة مع الغير.»

ثم جلست متكئة على مقعدها وراحت تنظر إلى ثاليا بمرح بينما هزت ثاليا كتفيها ونثرت رماد سيكارتها وقالت لفاي :

«هل تعلمين أنك تشبهين، إلى حد كبير، صديقة لي كنت أعرفها وكان اسمها إينز هولدن ؟»

فبدت من بات حركة استهجان وردت تقول :

«فاي لا تشبه إينز مطلقاً.»

فردت ثاليا :

«بل إن هناك شبهاً واضحاً بينهما. وإن تكن فاي تبدو كالعذراء بجانب إينز .»

فقالت بات بصراحة :

«كانت إينز جميلة جداً.»

ثم ضحكت لفاي وقالت :

«بدون إحراج ... ولكن ثاليا تهذي.»

فردت ثاليا تقول:

«نعم . كانت إينز جميلة جداً ولكن فاي لها لونها واستدارة وجهها.»

فسألت فاي قائلة :

«ومن هي إينز هولدن ؟»

وكانت فاي متعجبة من الجدل بينهما ولم يهمها ابداً أن تكون إينز أجمل منها.

فهتفت ثاليا تقول وقد اتسعت عيناها دهشة :

«ألا تعرفينها ؟ ألم يشر إليها لو أبداً ؟»

فغضبت بات وقالت :

«لماذا تلزمين الصمت فيا يتعلق بإينز يا ثاليا ؟»

فتجاهلت ثاليا بات وأخذت تراقب فاي وتنفث دخان سيكارتها. وكانت نظرة عينيها في تلك اللحظة جائعة قاسية كالنظرة في عيني قط قبل أن يهجم على فأر:

« لو كان خطيباً لإينز في وقت ما. ألم تعرفي ذلك ؟ كانت ممثلة. أعترف أنها لم تكن ممثلة قديرة. لكنها كانت جميلة جداً. هل تعرفين أنها توفيت ؟

فانفجرت بات تقول :

«لا تنبشي الماضي يا ثاليا .»

«ولكن يا عزيزتي يجب أن تعرف فاي كل شيء عن إينز . أنا أكره أن تعرف القصة من أناس يدعون الصداقة.»

فردت عليها بات تقول :

«ولكنك لست صديقة. بل أنت تبثين الشر.»

أخذت فاي تراقبها وقد بدأ الخوف يدخل قلبها. قالت لثاليا ووجهها يكتسي بحمرة خفيفة :

«لا أريد أن أسمع أي شيء يسيء إلى لو .»

«قد يكون شيئاً سيئاً أولا يكون لكنها الحقيقة.»

ثم مالت على المائدة وحدقت في عيني فاي وقالت لها :

«ماتت هذه الفتاة وكان لو مسؤولا عن موتها، وكأنه أمسك بمسدس ملىء بالرصاص وصوبه الى رأسها وأطلق ...»

وحدقت فاي في ثاليا ،وبقيت ساكنة في مقعدها، وكأنها تحولت الى تمثال من حجر وقد ملأ قلبها الشجن والخوف فجأة، ثم قالت ثاليا :

«إينز كانت جميلة كزهرة ذهبية . وذات ليلة لقيت حتفها تحت عجلات سيارة نقل. وقد ألقت بنفسها تحتها لأن لو مارش . ذلك الوغد المتعالي ألقاها خارج حياته، وادعى أنها استغلته وابتزت ماله. لكني لا أصدق ذلك بل أعرف أنها احبته. وكانت لا تتورع عن أن تجعله يدوسها بقدميه. وما كانت تستحق أن يؤلمها فهو الذى فسخ العقد المبرم بينها وبين كارل كريستابل . وأشاع أنه لا يحتمل العمل معها.

ثم أردفت تقول :

«نعم يا عزيزتي، هذا ما فعله لو ولذلك خرجت إينز في ذات ليلة وألقت بنفسها تحت عربة النقل. واعترف صراحة في التحقيق أنه طردها ومع ذلك خرج من قاعة المحكمة برشاقة وكأنه خارج من مطعم يبتسم للمصورين.»

ثم جلست ثاليا تحدق في وجه فاي وتقول :

«لقد ماتت إينز ... تحطمت تحت عجلات عربة النقل. وبقي هو يبتسم ويبتسم.»

فارتجفت فاي . ثم شعرت بيد دافئة تلمسها فنظرت لترى بات وقد قامت وأتت إليها تقول :

«تعالي يا صغيرتي. دعينا نخرج من هذا المكان.»

فقامت فاي بدون أن تلقى نظرة اخرى على ثاليا . وشعرت انها مخدرة. فلا يمكن أن يكون كل ما سمعته صحيحاً عن لو . لا يمكن أن يكون لو بهذه القسوة

ونظرت فاي إلى بات وإلى وجهها العابس المضطرب وإلى فمها الواسع الذي لم يعد يبتسم ابتسامته المرحة ثم سألتها :

«هل صحيح ما قالته ثاليا ؟»

وكانت فاي تنتقي كلامها بعناية، ولم تكن تنتظر من بات أن تنفي هذه الحقائق التي تضمنتها قصة ثاليا . كانت نبراتها تنطق بالحقيقة كاملة. ثم أومأت بات برأسها بتعاسة قائلة :

«كانا مخطوبين. ثم فجأة فسخت تلك الخطبة وفقدت إيفز عملها ولم ينف لو أبداً أنه هو المسؤول عن ذلك»

وشعرت فاي أن قلبها برد في صدرها والالم يعتصرها، والغثيان ينتابها.

وعندما وصلتا إلى الصالة حيث يعمل لو نظرت فاي بين آلات التصوير الكبيرة ومصابيح الاضاءة لترى وجهه وقامته الطويلة. فقد وقف وسط المنظر الذي يمثل غرفة صغيرة للمراهقات. وكان يجادل مع شاب قصير القامة يقف شعره الأسود المجعد مشعثا وتقدح عيناه اللوزيتان شررا ولم تر فاي سوى لو وحده عملاقا. كله حيوية ونشاط يشمر عن ساعديه السمراوين ويلمع شعره الأسود تحت ضوء المصابيح القوية.

ثم قالت بات وهي تتصنع الانشراح

«سبق أن قلت لك إنك سوف تقابلين جيرى ثانية.»

ثم ضحكت وأضافت :

«إنهما دائماً يتجادلان. جيرى ممثل جيد ولكنه لا يجب أن على أحد

عليه إرادته. وهما ما زالا يتناقشان في الموضوع نفسه والمنظر اياه منذ يومين. فلن تهدأ للو نفس إلاّ إذا مثل جيري على طريقته. أما جيري فقد يثير لو ويدفعه إلى القتل قبل أن يرضخ له.»

فسألت فاي بفتور :

«وهل يرضخ جيري له ؟»

«نعم سوف يرضخ أخيراً. لأن لو يكون دائماً على صواب في كيفية أداء الدور، ولكن جيري يحب أن يعقد الأمور، وخصوصاً مع لو .»

فسألتها فاي بمرارة :

«وهل هو من جماعة المعجبين بلو ؟»

فنظرت بات إلى فاي بدهشة، ثم غضت من نظرتها عندما آلمها اليأس القاتل الذي كان يطل من عيني فاي ... مسكينة تلك الصبية، فإلى جانب النشوة التي يثيرها لو في نفس الفتاة، هناك أيضاً الألم الذي يعتصر قلبها.

ثم التفت لو ورأى فاي وبات تقفان على جانب من الصالة، فأسرع وصرف جيري كوفمان وذهب إليهما قائلاً :

«هل تمضيان وقتاً طيباً ؟»

هزت فاي رأسها وأمكنها الابتسام له. ودهشت كيف تتصرف بتلك السهولة وكل عصب من اعصابها متوتر ويصرخ من الألم، ويتحدى الدموع كي تغسل الغثيان الذي يسود كيانها. ثم قال وهو يشير إلى الفوضى التي تسود المكان كله :

«إنه مكان صاخب، أليس كذلك ؟ ولا تسأليني كيف نخرج الروائع من هذه الفوضى.»

ثم ابتسم لبات وقال لها :

«سوف تسيل الدماء، كذلك إذا لم يكف كوفمان بسرعة عن ثوراته العصبية المتوترة.»

ولكن بات نظرت إليه مشفقة وقالت:

«اصبر يا لو. فسوف يطيعك ويستمع إلى نصائحك.»

«لا بد أن يفعل ذلك.»

ثم التفت إلى فاي وقال:

«سأنهي عملي بعد نصف ساعة يا حبيبتي، وأصطحبك إلى المنزل بعد أن نمر على أوليف هادلي فإني أريد زيارتها لبعض العمل.»

«حسناً.»

ثم التفت إلى بات يقول:

«وبالمناسبة، هل اتصلت تليفونيا بوكالة إيريل بخصوص تلك المغنية؟»

«آسفة يا لو نسيت وسأذهب لأقوم بالاتصال الآن.»

ثم أمسكت بيد فاي وقالت لها:

«تعالي معي يا حبيبتي حتى لا تداسي تحت الأقدام.»

فرد لو وهو يودعها قائلاً:

«سوف أكون جاهزاً بعد ساعة بالضبط.»

ثم رجع إلى الصالة بينما ذهبت فاي مع بات قاصدة مكتبها.

وبعد نصف ساعة خرجت سيارة لو من بوابة الاستوديو وقادها بسرعة في طريق سانسيت بوليفار. وكان يتكلم معظم الوقت فلم يلاحظ أن فاي ظلت صامتة. ثم قفز برشاقة من السيارة عند وقوفها أمام مدخل هادلي هاوس الفخم، وقال لفاي وهو يمد إليها يده:

«تعالي معي.»

«وهل تحتاج إلى وجودي معك؟»

فابتسم لها وقال وهو يجذبها خارج السيارة:

«ليس من الضروري ... ولكن الجو حار هنا في الشمس.»

ولم يترك يدها بعد ذلك فظل يمسك بها وهما يدخلان الباب الدائري في هادلي هاوس. ولذلك شعرت فاي أنها طفلة صغيرة. وتقدمت نحوهما إحدى الفتيات من قسم الاستقبال فسمعت تقول:

«دع يدي يا لو.»

ولكنه ضحك وقال للفتاة:

«الآنسة هادلي تنتظرنا.»

ثم قاد فاي وترك الفتاة مندهشة ودخلا المصعد وهو يضحك في وجه فاي التي قالت له:

«دع يدي ... فلن أفر منك.»

«ولكني أحب أن أمسك يدك.»

ولاحظت فاي أنه في حالة مرحة سعيدة، فبدا وجهه كوجه الأطفال، ثم قال:

«إنها يد صغيرة ناعمة وعظامها رقيقة حتى يمكنني تحطيمها بأصابعي.»

ثم أخذ يدها وطبع قبلة على معصمها. وكانت شفتاه دافئتين. وبقيتا لمدة طويلة على معصمها الذي كان النبض فيه يسرع بجنون وأخذت فاي تنظر إلى رأسه المنكس على يدها. نعم يروق له أن يقبل يدها فهو يعتبرها دمية يلهو بها، ولكنها سوف تذهب في الطريق الذي انزلقت إليه الفتاة الأخرى التي يرن اسمها في أذنيها كلحن جنائزي... كانت تود أن تهتف بذلك الاسم وترى تأثيره عليه. بل كانت تود أن تصرخ وتعرفه أنها وقفت على ذلك السر. لكنها لم تفعل

بل راحت تتحمل قبلته بدون شعور. ووصل المصعد إلى الطابق المقصود، وخرجا منه وما زالت يدها الصغيرة حبيسة، ثم سارا رأساً إلى مكتب أوليف وهادلي الخاص، وكانت سرعة سيره قد أدهشت فاي فنظرت إليه متعجبة وقالت:

«لا بد أن عملك مع أوليف هادلي هام للغاية ؟».

«نعم إن عملي مع أوليف هام جداً».

٣ ـ طوارىء واحداث

جلست أوليف هادلي وراء مكتبها الفخم تملي على سكرتيرتها عندما دخل فاي ولو . فصرفت الفتاة بسرعة واستدارت عن مكتبها وتقدمت ترحب بها. كانت أنيقة جداً في ثوب اسود من قطعتين يزين ياقته مشبك من الماس المتلألئ، ولم تكن أوليف جميلة أو متسقة التقاطيع ولكنها كانت تمتاز بطريقة إرتدائها لثيابها الرائعة، وكانت تبدو لفاي ولغيرها من النساء في قمة الأناقة والثقة بالنفس التي يحسدها عليها الجميع

ثم قالت لفاي

«أهلا يا عزيزتي. دعيني أهنئك باليوم وأتمنى لك سنين طويلة مقبلة».

وفوجئت فاي ... نعم. إنها تبلغ اليوم الرابعة والعشرين من عمرها وقد نسيت عيد ميلادها. ثم قالت :

«نعم ـ نعم ـ تماماً».

فضحك لو وقال :

«أحضري المعطف يا أوليف . فإني لا أصبر حتى أرى فاي ترتديه».

وفتحت أوليف الباب وسمعتها فاي تقول للفتاة الجالسة الى

المكتب في الخارج:

«انزلي يا بولا لاحضار معطف السيدة مارش».

فالتفتت فاي إلى لو الذي راحت عيناه تنظران إليها بسخرية. وهو يراقب وجهها المتعجب ويقول

«لا تنظري إليّ وكأني اشتريت حبلاً لأشنقك به».

ولكن عندما أتت بولا بالصندوق الكبير البنفسجي، الذي يحتوي على المعطف، وعندما فتحته أوليف وأخرجت المعطف منه بكل بريقه وفخامته، وساعدت فاي على ارتدائه، شعرت فاي فعلاً بأن هناك قطعة من الحبل حول عنقها تكاد تخنقها.

وقفت فاي بدون حراك عندما وقف لو وراءها وراح ينظر إلى صورته في المرآة الطويلة. ثم شعرت بيدي لو على كتفيها تتحسسان الفراء الثمين، وهمس في أذنها يقول

«عيد ميلاد سعيد يا عزيزتي».

والتقت عيناها في المرآة فشعرت بضعف شديد، وكانت ممتنة لامكانها الاتكاء عليه لأن يديه تسندانها، ولولاهما لسقطت على الأرض. فاليوم عرفت إلى أي مدى تردّى لو في الحضيض. واليوم كذلك أحبها لو بتلك الهدية. وهذه المفارقة المرة جعلتها تود أن تذرف الدموع التي شعرت بها تتجمع في عينيها وهي في الاستوديو

ثم قالت وهي تنتقي الكلمات بعناية

«أشكرك يا لو على هذا المعطف لأنه جميل جداً».

ولكنه قطب جبينه لأنها شكرته بتلك الكلمات القليلة الرسمية الخالية من الحماسة. ألم ترَ ما صنع هذا المعطف بها؟ فوجهها استكان كالزهرة البيضاء في ياقة المعطف السمورية الداكنة. أليس لديها أية عزة نفس؟ هذه الطفلة الغريبة التي أنقذها من الجو الخانق السائد

لوريل باي! وانتشلها من غرف المرضى والعجائز؟

وهمس:

«أردت أن أدخل على نفسك البهجة».

ثم استدارت إليه لأنها شعرت بأنها خيبت آماله في طريقة تلقيها هديته، ولذلك أرادت أن تطمئنه. فقالت له:

«حقاً إن المعطف يروق لي كثيراً يا لو».

ولمست بأصابعها ذراعه وقالت:

«أنا متوعكة قليلاً. هذا كل ما في الأمر».

«يحق لها ذلك يا لو».

قالت ذلك أوليف هادئة ثم أردفت تقول

«إن أية امرأة يدير رأسها معطف مثل هذا المعطف يا لو».

ثم راحت تراقبهما وتتأملهما بعاطفتها معتقدة أنهما زوجان مثاليان يكمل أحدهما الآخر، مع أن الكثيرين من الناس لا يتفقون معها في الرأي اذ كانوا يطلقون على فاي عبارة «الناقهة الصغيرة».

كان وجه الفتاة ينم عن الحنان والشجاعة. فإذا كان عند لو ذرة من العقل عليه أن يتمسك بها بقوة، وسوف تعطيه كل ما يحتاج إليه البيت المريح والحب الدائم والأطفال. فلم تكن فاي الفتاة العصرية التافهة التي تعتقد أن القيام بواجباتها المنزلية يولد لديها السأم، أو التي تفضل العناية بقوامها والاحتفاظ بوقتها لنفسها على رغبة الرجل الطبيعية في إنجاب الأطفال... وعلى لو أن يعرف قيمتها جيداً! فإذا كان يريد مجرد اللهو بها فسوف يعيش نادماً على ذلك.

ثم رأت أوليف فاي وهي ترفع يدها وتضغط على ذراع لو. ولكن هالتها تلك النظرة المذعورة التي بدت في عينيها... ومن غير

شك لم يكن سببها إهداء لو ذلك المعطف الثمين. بعد ذلك استدار لو إلى أوليف قائلاً وهو يبتسم :

«ألا تبدو فاي جميلة ؟»

فهزت أوليف رأسها وقالت :

«أعترف أن رقة فاي تتلاءم تماماً مع الفراء، بينما الكثيرات يجعلن هذه المعاطف مجرد شيء ثمين.»

ارتفع الدم الى وجه فاي خجلا لهذا الاطراء، وعندما استدار لو ينظر إليها بإعجاب متجدد لملاحظات أوليف التي راقت له. انكمشت لهذا الاعجاب البادي بوضوح في أغوار عينيه السوداوين والذي يدل على سروره لامتلاكه إياها. ثم انتابتها الحيرة الشديدة. فقد هوى لو من عليائه ولم يعد يتبوأ المكانة السامية في قلبها، واليوم يجاوره دائماً شبح تلك الفتاة الطويلة الذهبية التي ماتت لأنها هي أيضاً كانت من الجنون بحيث تدفقت بحبه مثلها.

ثم خلعت المعطف وجاءت أوليف ووضعته بعناية في صندوقه ثم قال لو وهو يلف فاي بذراعه ويضمها إليه :

«سوف نحتفي بهذه المناسبة السعيدة الليلة. اشتريت تذكرتين لاستعراض «نفحة من السماء».»

فقالت أوليف وهي تبتهج بحماسة :

«إنه استعراض رائع يا لو . لقد حضرت العرض الليلة الماضية. وكانت الموسيقى وكذلك مناظر الرقص رائعة.»

قال لو وهو يرفع وجه فاي إليه :

«حسناً سوف يكون هذا العرض خاتمة حسنة ليوم جميل، يا حبيبتي.»

حاولت فاي أن تنسى ما قالته لها تاليا عن قصة موت إينز هولدن ولكنها لم تنجح في ذلك. الآن كل شيء أصبح سقيماً في نظرها.

فمثلاً عندما ترى لو يجلس مواجهاً لها على مائدة مطعم وتشاهد وجهه الأسمر الوسيم يضحك أو يتحمس في محادثة هامة، لا «هذا الرجل الذي يلفت الأنظار هو زوجي أنا».

وعندما كان يقبلها كانت تفكر وتقول «سبق أن قبل إينز هولدن وضمها بين ذراعيه، ولكنه تركها بعد ذلك، ولا بد أن يتركني أنا أيضاً.

وفي فترة حيرتها وتخبطها قابلت فاي جيري كوفمان ثانية.

حدث ذلك على الشاطىء، إذ كان من عادتها أن تذهب كثيراً إلى هناك ولو أنها كانت تتذكر بحزن تلك الأوقات السعيدة التي كانت تقضيها مع كليو وإيريك في ذلك المكان. فجلست تفكر في كليو وتلك المرات التي كانت تصاحب فيها إيريك إلى الشاطىء، بينما كانت كليو تزور خالة لها في باسادينا ثم يرجع معها إلى شقتها وتطعمه الطبيخ وفطائر الجيلي، وتنام بجانبه على البساط حيث يشتركان معاً في اللعب بلعبة الأجزاء المتداخلة.

وتنهدت فاي وهي تسترجع تلك الذكريات، وراحت تلعب بالرمال وتجعلها تنساب من بين أصابعها، وتنظر بكآبة إلى البحر الذي يضم المستحمين ... كانت تدرك أنها وحيدة غريبة بين رواد الشاطىء المرح الصاخب بالحديث والضحك. وكانت تبدو رفيعة القد وحيدة ترتدي رداء بحر ليموني اللون يكشف عن صدر صغير وساقين رفيعتين بيضاوين وقدمين بعظام رقيقة.

ثم سمعت صوتاً يقول :

«هل لي أن أجلس معك؟ فأنت تبدين في حاجة الصحبة.»

ذعرت فاي وأدارت وجهاً مندهشاً إلى المتكلم فوجدته جيري كوفمان . وكانت خصلات شعره الأسود مبتلة لاصقة برأسه من تأثير

مياه البحر، وكانت عيناه اللوزيتان الحاطتان بأهداب طويلة تبتسمان لها.

ثم ألقى بنفسه قربها على الرمال ومدّد جسمه القوي الذي لفحته أشعة الشمس، ثم هتف يقول :

«يا إلهي ـ ما هذا اليوم ! أرجو أن تفتح السماء أفواهها وتهطل الأمطار الملطفة.»

ثم اتكأ على يده وراح يسألها مبتسماً :

«ماذا تفعلين وحدك هنا بعد ظهر يوم السبت ؟»

ردت تقول وهي تبتسم بتحفظ :

«إنني دائماً وحيدة بعد ظهر يوم السبت. فلو يلعب الغولف»

«سوف أتذكر هذا.»

وطافت عيناه اللوزيتان بوجهها في حرارة وود، وقال لها :

«هل يضايقك اقتحامي وحدتك؟ »

«كلا لا يضايقني ذلك ابداً.»

وكان هذا صحيحاً فلم يضايقها. إذ أنها تعجب به، وتعجب بالود الخالص الذي يظهر في عينيه. ثم قال لها :

«إنك تبدين تعيسة، فلم أملك نفسي وأتيت إليك، فالوحدة على الشاطىء مؤلمة.»

وابتسم، وكانت ابتسامته ودية كشفت عن أسنان صغيرة مربعة. ثم أردف يقول بعطف :

«إن هوليوود قد تكون مكاناً تملأه الوحدة القاتلة بالنسبة إلى الغرباء.»

فردت تقول

«إنها تذكرني بالغابة.»

وكانت تتكلم بصراحة تلقائية نتيجة للطريقة التي كان جيري ينظر بها إليها، فبرغم أنه غريب عنها إلا أنها لم تشعر بذلك، فقد كان تصرفه طبيعياً أراحها، ونظرته صريحة واثقة نالت ثقتها به.

ثم أكملت فاي تقول :

«إن الجو في هوليوود حار رطب، وهي مليئة بالأصوات الصاخبة وبالمخلوقات الجميلة الخطرة.»

ثم ابتسمت وقالت :

«إنه من السخف أن أدعها تخيفني ولكنها تخيفني فعلاً.»

سألها بقوله :

«أليست لديك الرغبة في أن تمثلي بالسينما ؟»

فهزت رأسها وظهرت الغمازتان في وجنتيها مما اعطاها طابع الاستهتار الذي راق لجيري . ثم قالت :

«لو قد يقذفني من النافذة إذا أظهرت الميل لأن أكون نجمة سينمائية.»

«سوف يكون هذا شيئاً قاسياً. لماذا يفعل ذلك ؟»

وراح يراقبها و يعجب بوجهها، وفمها الذي يشبه الزهرة، وعنقها الذي يشبه اعناق الأطفال.»

«قد يجعل التمثيل طبعي حاداً متناسباً مع طموحي. وفي كل حال لست على شاكلة نجوم الشاشة.»

«هذا صحيح إنك تبدين لي منطوية على نفسك.»

«وهل يعني ذلك أنني هادئة خاملة ؟»

كانت هذه نظرتها الى نفسها طوال تلك الأسابيع التي قضتها في هوليوود . فكل واحد حولها يمتلك موهبة أو حيوية خارقة، متدفقة أو وسامة زائدة. فالناس ما زالوا ينظرون إليها بدهشة عندما يرونها مع لو ويعلمون أنها زوجته.

في اعتقادي أنك ندية، تختلفين كثيراً عن أسباب الحياة المادية وعن الثراء الذي يراه المرء هنا كلما تلفت حوله. فأنت تجعلين المرء يشعر بالراحة.»

إنها تجعل المرء يشعر بالراحة كالشعور بهطول المطر بعد الجفاف. وجميلة مثل عود زهرة الميموزا... وهي طفلة رقيقة خجول تثير فيه شعوراً بالعطف والميل إلى المحافظة عليها، وتثير فيه أيضاً شعوراً بالاشمئزاز عندما يتخيلها بين ذراعي لو الفويتين وتحت رحمة شفتيه الجامدتين الوقحتين وحتى يدفع تلك الفكرة من مخيلته سألها :

«هل تسبحين ؟»

«لا أسبح بمهارة.»

وبالنظر إليه تأكدت فاي أنه سباح ماهر، فجسمه قوي متناسق ككل السباحين، وعندما قفز واقفاً وجذبها معه تحرك برشاقة وسهولة ثم قال :

«تعالي نسبح، فإن هذه الرمال ساخنة كالجمر.»

وأمسك بيدها وجرى معها على الشاطىء، ونزلا إلى البحر وهو يضحك كالطفل حين كانت خصلات شعره تتراقص على وجهه.

في تلك الليلة، وهما يتناولان العشاء، أخبرت فاي لو أنها أمضت بعد ظهر ذلك اليوم تسبح مع جيري كوفهان . وكان يتملكها الفضول عن كيفية تقبله ذلك الخبر، لأنها كانت تستشف كراهية لو له. ولكنها لم تتوقع أن ترى ذلك الغضب الخاطف الذي بدا في عينيه، إذ هتف يقول :

«يا للشيطان ! أظن أن هذا الوغد جاهد كي يفوز بالتعرف اليك!»

«هذه ليست طريقة لطيفة تتكلم بها عنه. فانا أعتقد أنه إنسان لطيف.»

« كوفهان ! عندي ما أقوله عن هذا الرجل، يجعل شعرك الذهبي

الجميل يقف هلعا، والأجدر بك الابتعاد عنه.»

ثم نظر في عينيها وقال لها :

«لا أطلب منك ذلك فقط ولكني آمرك به.»

تعجبت للهجته ونظرت إليه وكانت تنتظر منه أن ينهي الأمر بابتسامة ويظهر لها أنه يداعبها، ولكن عندما لم يفعل تملكها حب التحدي وقالت بطريقة صبيانية :

«قد تأمرني أن أقفز من النافذة ولكن ليس معنى ذلك أنني مجبرة على طاعتك.»

«إذا كان الأمر يتعلق بكوفهان فالأحسن أن تقفزي من النافذة، فهي طريقة أسرع.»

«طريقة أسرع ؟»

«أعني يا صغيرتي أن كوفهان قاتل خطير.»

وسكب بعض الشراب في كأسه وابتسم وهو ينظر إليها ثم قال :

«ماذا يدور في تفكيرك : انني لست ملاكاً منزهاً عن الخطأ ؟ وهذا ما يحزنني.تعودت أن تكون لديك فكرة طيبة ومتفائلة عني فماذا جرى أخيراً ؟»

فنظرت إلى وجهه المتسائل، وكان يرتشف الشراب وعيناه تسخران منها، ثم قالت :

«لم يعد يهمني إذا كان في إمكانك او عدم إمكانك أن تتحسن. فأنت باق على حالك، وإنني أقبلك على علاتك.»

فرفع حاجبيه متسائلاً:

«هذا قول مبهم يا صغيرتي. هل يمكنك تفسيره قليلاً؟النمور لا تغير جلدها.»

«كنت أعتقد أن في إمكانها أن تغيره. والآن وقد كبرت كثيراً فقد غيرت

تطيع أوامر جيري بأن تبدو طبيعية بريئة من هذه التهمة.

أما الرجل المسكين الذي أصابته قطعة الحلوى اللزجة فقد واجه عيني فاي الكبيرتين الزرقاوين، وقد شاعت فيهما البراءة. فتجاوزت فاي عيناه وهما تبحثان في الصف الخلفي عن المتهم ...

وكانت فاي تشعر باهتزاز جسم جيري وهو يضحك بشدة وإن كان يحاول جاهداً أن يكف عن الضحك، فهمست تقول له :

«كفّ عن الضحك، فسوف يتهمنا الرجل إذا احمر وجهك أكثر من ذلك.»

فقال جيري وهو يلهث :

«كيف تنجحين في الظهور بريئة كالملاك ؟»

واستمتعت فاي بهذه المباراة كما لم تستمتع بمثلها من قبل، ولما خرجا مع الجمهور الضاحك الصاخب قال لها جيري :

«ما رأيك في الذهاب إلى منزلي لتناول القهوة أو الكوكاكولا إذا كان لديك بعض الوقت ؟»

فاستجابت له فاي بحماسة ولم تكن فاي قد زارت شقة جيري من قبل . فهالتها الفوضى السائدة هناك وأدهشها جوّها البوهيمي.في غرفة الجلوس خليط من قطع الأثاث الغريبة الشكل وغير المتجانسة. وكانت نوافذها الكبيرة المطلة على البحر تشبه نوافذ مراسم «استوديوهات»الرسامين. ووجدت حاملاً للصور موضوعاً بجانب إحدى النوافذ قرب الضوء.

قالت له وهي تنظر إلى الحامل بفضول

«هل ترسم يا جيري ؟»

فهزّ كتفيه وابتسم يقول

«دعيني أقول إنها مجرد محاولة فقط هل تحبين رؤية اللوحة ؟»

ثم ذهب إلى الحامل ونزع قماش الغطاء. فاتسعت عيناها دهشة لأنها وجدت صورتها !

وكانت اللوحة تمثلها جالسة على سور أبيض تحته مجموعة من أزهار الماجنتة الأرجوانية، وقد أراحت يدها اليمنى على الأزهار بينما تعرّت قدماها وهما تتدليان عن السور، واسترخى رأسها إلى الوراء، وهي تضحك بمرح وعدم اكتراث. وسألها جيري بهدوء :

«ما رأيك ؟»

«إنها صورتي ولكنها ليست شخصيتي أبداً.»

«ربما كانت أنت كما أراك.»

«إنها تشبه الغجر.»

والتفتت إلى الصورة ثانية فرأت الألوان فاقعة ومستعملة بجرأة، فقد جعل جيري شعرها يأخذ لوناً أغمق، وجعل فمها يبدو وأكثر جرأة منه في الواقع. ووضع حول ساقها اليسرى سلسلة ذهبية رقيقة لكنه جرد يدها اليسرى من خاتم الزواج. وسمعت جيري يقول وهو يحدق في الصورة :

«العينان ليستا كما يجب، فقد لاحظت ذلك من قبل . والآن وأنت بجانب الصورة، أقدر أن أميز مكان الخطأ. إن عينيك تنكمشان عندما تضحكين ولكني رسمتهما واسعتين.»

ثم التفت إليها باهتمام وقال:

«سأرشوك بشروب الكوكاكولا المثلجة. هل تجلسين أمامي لمدة خمس عشر دقيقة أو نحو ذلك كي أصلح هاتين العينين.»

فضحكت فاي ، واحمر وجهها، وقالت :

«اجعلها خمس عشرة دقيقة فقط يا جيري ، فإن لو سوف يصطحبني لزيارة رئيسه هذا المساء،ولن أجرؤ على التأخر.»

ورئيسه ك. ك. ؟»

وصفّر جيري ثم أردف يقول :

هل ستذهبان إلى منزله ؟»

فهزت رأسها وقالت :

«نحن مدعوان للعشاء. هل هو مخيف للغاية يا جيري ؟»

فابتسم جيري وقصد المطبخ ليحضر الكوكاكولا التي وعدها بها، ثم قال :

«ترى هل ستكون صديقتنا ثاليا ذات العينين الخضراوين موجودة ؟»

«تحت سقف واحد مع زوجته ؟»

فضحك جيري عند عودته من المطبخ حاملاً كوبين من الكوكاكولا أعطاها أحدهما وهو يقول :

«ك. ك. رجل طاغية حتى أن زوجته لا تظهر ضيقها من حضور صديقته إلى العشاء، ولسوف تدهشك زوجته. إنها شقراء رائعة في نحو الخمسين من عمرها بدينة الجسم، وتعشق زوجها المنحرف، وإني أدهش كيف يعجب بحيوان مثل ثاليا في حين لديه زوجة مثل ماجدة ؟»

فقالت فاياي :

«اسمها ماجدة ؟ هل هي أجنبية ؟»

فهز جيري رأسه وقال :

«أعتقد أنها من البلقان وأظنه هو كذلك من هناك. وإن كان كل شيء متعلق بـ ك. ك. يبدو مبهماً، وبعض ما يقول يحتاج إلى مفتاح كي يفتح لك المعنى، إنه يتكلم كأنه يهذي، وإذا لم تعرفيه معرفة وثيقة ولمدة طويلة لن تفهمي ما يقول.

فبدا على فاي القلق وقالت :

«لا بد أني سوف أخطئ، وأرد عليه ردوداً سخيفة.»

وكانت الساعة تجاوزت السادسة والنصف عندما وصلت فاي إلى المنزل، فسمعها لو وهو في الحمام فأطل برأسه منه وسألها عن المكان حيث كانت وقال لها :

«تأخرت كثيراً.»

فخلعت معطفها وقالت له، وهي تدير رأسها وتخفي وجهها عنه حتى لا يرى أحمرار وجهها وهي تكذب عليه :

«ذهبت الى السينما.»

«إذن كوني جاهزة يا صغيرتي لأن موعدنا مع كريستابل هو السابعة والنصف.»

ثم أغلق باب الحمام عليه، وراحت فاي تنظر في المرآة وتفكر... إنها ليست المرة الأولى التي كذبت على لو. فكلما كثرت مقابلاتها لجيري ازداد كذبها على لو. وتهيبت مما سوف يحدث عندما يكتشف زوجها علاقتها مع جيري. لكنها صممت على الاستمرار في صداقتها له. لماذا لا تتخذه صديقاً ؟ إن صحبته تريحها لاتزانه وجاذبيته. فهو يبث فيها الهدوء ويوقظ فيها حب العودة إلى الطفولة، ولكن إلى طفولة سعيدة تختلف عن الواقع.

ولما خرج لو من الحمام قال لها، وهو يجفّف شعره المبتل بالمنشفة وينظر إليها نظرة قلقة :

«أسرعي إلى الحمام يا حبيبتي. فقد ملأت لك البانيو. إذ ليس لدينا وقت نضيعه، وقد وضعت لك ملء حفنتين من أملاح الحمام المعطرة بالبنفسج فهل هذا يكفي ؟»

فابتسمت له وقالت :

«إن حفنتين من حجم يدك كافيتان جداً.»

وفي طريقها إلى الحمام مدّت يدها ومرّت بها على ظهره. فعندما يبدو

كالصبي نظيفاً بعد استحمامه، ويبرق جلده الأسمر وتموج عضلات ظهره وذراعيه بالصحة. لا يبدو أن في إمكانه ارتكاب أي شيء حقير. وكان مثل رمز أسطوري أسمر طالع من نبع عميق نظيف كله سحر. وهو يلمع من فرط النظافة ... نظافة الروح والجسد ... وكانت تعتقد في مثل هذه اللحظات أن كل ما يقال عنه من سوء يكمن أساسه في نفوس قائليه وعقولهم. وكان من الكفر في هذه الحالة أن تعتقد أنه قد تسبب في القضاء على فتاة جميلة.

وأتم لو ارتداء ملابسه قبلها وراح يستعجلها وهي ترتدي ثوبها فقالت له :

«تعال وأقفل لي السحاب.»

وكان لو يريد أن ترتدي فاي ثوباً جميلاً في أول زيارة لها إلى آل كريستابل . فطلب من أوليف هادلي أن تفكر في ثوب خارق يصلح لفاي فقط ولكن فاي كانت تعتقد، سراً، أنها آخر شخص في العالم يمكنه ارتداء مثل ذلك الثوب، وهو من الحرير الطبيعي، يضيق إلى الردفين ولونه بنفسجي رقيق، وبعد الردفين يأخذ لوناً بنفسجياً غامقاً، بينما يتسع في اتساع مثل أوراق الأزهار في طرفها خرز صغير براق. وكان الثوب، والحق يقال، جميلاً، يجمع بين البراءة والغرابة. ولكن فاي لما نظرت إلى نفسها في المرآة، شعرت بالنفور وهو الشعور نفسه الذي اجتاحها عندما كانت تجربه أوليف للمرة الأولى.

وشعرت بيد لو على ظهرها وهو يقفل السحاب. وعندما ضمها الثوب استدارت من المرآة وطلعت منها صيحة خجل.

أمسك لو بذراعها وقال لها :

«ماذا هناك ؟»

«أشعر أنني عارية.»

فضحك لو عالياً، وراح ينظر إلى تأثير الثوب عليها بسرور وقال بحماسة :

«تبدين كالصورة الجميلة، بل كالبراءة الناصعة وهي تعرى. أوليف ألحقتك بشيء ثمين. وسوف تديرين الرؤوس هذه الليلة يا صغيرتي.»

ثم جذبها إليه وراحت يداه تتحسسان جسمها. لكنها بقيت جامدة وبان عليها الخجل. فلماذا يشعرها لو دائماً أن ما يحببها إليه هو جسمها ؟

ثم قالت له :

«لا تقبلني حتى لا تتلف أحمر الشفاه.»

فضحك وتركها، ثم ذهب إلى غرفة الجلوس. فراحت فاي تنظر إلى خيالها في المرآة بدون حماسة. وسألت نفسها : هل تلون عينيها حتى تلائم ذلك الثوب الذي يشبه أثواب الممثلات ؟ وهل تعمل ما في وسعها كي تؤثر على كريستابل وزوجته ؟ فمن الطبيعي أن لو كان في نيته أن يجعل فاي تبهرهما

وجلست فاي أمام المرآة وفتحت صندوق أدوات الزينة الكبير الذي أهداه إليها لو والذي نادراً ما كانت تستعمله. وأخرجت منه دهان الأهداب وعلبة الظلال البنفسجية اللون وراحت تلوّن عينيها بعناية، ثم تنظر إلى البريق الذي ظهر فيهما نتيجة تلك الألوان في شيء من التعجب والسخرية.

ولما رجع لو إلى الغرفة استدارت إليه باسمة وأهدابها ترمش، وانتظرت أن يبدي حكمه على شكلها فراح ينظر إليها ثم قالت له :

«لقد أضفت شيئاً جديداً على مظهر العربدة يا لو !»

«هذا واضح . فهل تشعرين الآن أنك أقل عرياً من قبل ؟»

فهزت رأسها . ثم قامت وجاء لو فأدارها حتى صار ظهرها تجاهه، وألبسها عقداً من الماس، التصق بخدها الناصع البياض،وراح يلمع بضوء باهر . ثم أضاف على ذلك حلقاً من الماس يضاهي العقد.

وبدت عيناها في زرقة قاتمة أهدابها المكسوة بالدهان. كما كانت الظلال تكسو جفنيها . وراحت تنظر إلى عينيه السوداوين الضاحكتين، وتقول وقد ارتجف صوتها فجأة :

«لماذا تتحفني دائماً بالهدايا ؟انا لا أريد هدايا دائماً.»

«ربما كان هذا هو سبب تقديم الهدايا إليك.»

ثم ذهب إلى خزانة الملابس وأخرج منه معطف المنك، وساعدها على ارتدائه. ثم جذب الياقة وحول وجهها، وراح ينظر إليها بإمعان فقالت له :

«هل أبدو غالية الثمن كما تريد ؟»

«غاليه الثمن ؟ أكثر من ذلك يا عزيزتي، ولكن الكلمة المعبرة عن ذلك تخونني.»

ثم وقفت ساكنة بين يديه، وهداياه الماسية تلمع في عنقها وفي أذنيها، وابتسامة حزينة تبدو على فمها الجميل وهي تقول :

«إني أشبه الأوزة المعدة للأكل، والموضوعة على طبق ليقدم إلى آل كرستابل»

فضحك لو عالياً وقال :

«وهو كذلك ؛ تعالي يا صغيرتي فإن ك . ك . لديه عقدة اسمها المحافظة على المواعيد.»

ولكن قدر لها أن يتأخرا عن ذلك العشاء. ففي الطريق إليه فرغ الوقود من السيارة لو . فقصد إحدى المحطات كي يزوّد السيارة به.

ولم تكن هي المرة الأولى التي يقصدان فيها تلك المحطة. وبينما

كان لو منهمكا في ملء السيارة تلفتت فاي حولها تبحث عن الكلب الكبير الذي اعتادت أن تراه هناك وتداعبه دائماً. وعندما رأته واقفاً عند عتبة المنزل المجاور،أخذت تصفر له كي يلتفت إليها فظل واقفاً عند عتبة المنزل وعرفها على الفور ثم تقدم نحوها يحييها. وفي هذه اللحظة كانت سيارة كبيرة وردية اللون تدخل المحطة. وهنا اختلطت صيحة فاي الهالعة بصيحة الألم التي أطلقها الكلب عندما دهمته عجلات السيارة وألقته أمام مدخل المحطة.

وأسرعت فاي إلى الكلب الذي كان يئن وركعت بجانبه وأخذت رأسه على ركبتيها ولم تأبه بالدم الذي تدفق من أنفه ولطخ ثوبها البنفسجي وجانباً من معطفها الثمين. وفي لحظة كان لو يمسك بكتفيها ويقول :

«احترسي يا فاي . فإذا لمست مكان إصابة الكلب سوف يستدير إليك وينهشك.»

فتجاهلت فاي ذلك وانحنت على الكلب وانسابت دموعها لصوت أنينه وارتجافه ونزفه. ولكن لو جذبها بعيدا عن الكلب وهو يقول :

«ابقي هنا والزمي الصمت. وإذا تدخلت مرة ثانية فسوف أصفعك.»

وركع لو بجانب الكلب ورأته فاي يمر بيديه السمراوين القويتين على ظهر الحيوان برقة. وبرغم ذلك صاح الكلب متألماً ودارت عيناه وبرزت أسنانه وهو يحاول ان ينهش اليد التي لمست موضع الألم

ثم نظر لو إلى الرجل والمرأة الواقفين بجانب فاي . فالمرأة خرجت من المنزل بسرعة وساعداها مشمرتان وهي تجفف يديها بالمريلة. كانت شاحبة اللون ملتاعة وهي تقول

«هل هو في خطر؟ هل هو في خطر؟».

ويبدو أن الرجل كان زوجها، فأمسك بذراعها بينما هز لو رأسه ورد عليها يقول:

«إنه في ألم شديد، ويجب أن نقضي عليه».

صاحت المرأة محتجة، فالتفت الرجل إليها وقال لها هامسا:

«إنه على حق ألا ترين؟».

ثم التفت إلى لو وقال:

«هل أحضر شيئاً».

فهز لو رأسه بالرفض، وانحنى على الكلب بينما أخذت فاي ترجف بشدة عندما سمعت صوتاً كصوت الفرقعة من جهة الكلب ثم رأته يرفس بروح في سكون أبدي.

لكن فاي تقهقرت عنه ودخلت وسط زمرة المشاهدين الذين تجمعوا، وغامت عيناها بالدموع وهي تقول بدون وعي:

«إني آسفة ... إني آسفة...».

وكل ما فكرت فيه هو أن صفرتها للكلب المحبوب قادته تحت عجلات السيارة، وأن لو أجهز عليه فأماته سريعاً.

وفجأة تركت مجموعة الواقفين وهي تجري هاربة نحو الشارع.

٤ - في السراء والضراء

عندما هربت فاي كانت تتعثر بحذائها الرقيق الرفيع الكعب، وتمسك ذيل ثوبها الملطخ بالدماء ... كانت تريد الهرب من منظر يدي لو وهما تتقوسان كي تقضيا على الكلب. ولكنه لحق بها وأمسكها وقال لها:

«أين تذهبين أيتها المجنونة الصغيرة؟».

وأخذت تقاومه بشدة، وكرهته وكرهت غلظته وقتله الكلب بدون أن يظهر على وجهه أي شعور. وكرهت كذلك يديه ثم قال لها:

«اسمعي، ذلك الكلب المسكين كان يتألم. وفعلت ما كان سيفعله الطبيب البيطري، إذ لم يكن بوسعه أن يسعفه. لك أن تكفي عن التصرف كالأطفال. والآن اجمعي شتات نفسك فسوف نتأخر عن الوصول إلى منزل كريستابل».

«ولكني لست راغبة في الذهاب إليهم».

«أنت تثيرينني أحياناً لدرجة القتل، يا فاي. فإلى الجحيم بعاداتك هذه». ثم أدارها وجذبها معه نحو السيارة فقالت:

«إني ملطخة بالدماء، فقد نزف الكلب المسكين دماءه عليّ».

ولما وصلا الى السيارة وقفت بجانب أنوارها الكاشفة، وأرته ثوبها وقد كسته الدماء، وأتلفته بقع الزيت الذي ركعت فوقه. في تلك اللحظة كست وجه لو مشاعر مختلفة منها نفاد الصبر والمضايقة وسألها :

«لماذا أخذت في ضمّ هذا الحيوان ؟ تجاوزت الحدود يا فاي . والآن يجب أن نرجع إلى المنزل لتبدلي ثوبك هذا بثوب آخر ادخلي السيارة.»

ولما رجعا إلى المنزل تبعته إلى غرفة الجلوس وتعلقت بذراعه وهي تقول :

«لا تجبرني على الذهاب معك، أرجوك يا لو . فلن يهتم أحد إذا لم أذهب.»

«ولكنه يهمني أنا. دعيني أساعدك على خلع الثوب.»

ثم جذبها إلى غرفة النوم وخلع معطفها وألقاه على أحد المقاعد بإهمال وقال :

«اخلعي هذا الثوب.»

ثم ذهب إلى الخزانة واختار لها ثوباً جميلاً فيروزي اللون وتقلصت شفتا لو وهو يقول لها :

«ك . ك . ليس بالرجل الذي يقدم دعوات العشاء إلى ضيوفه كل يوم، ولن أذهب الليلة بدونك، فهو يريد التعرّف اليك، وماجدة كذلك. والآن أزيلي ذلك اللون من عينيك فهو يسيل، ولا تنظري إلي وكأني ارتكبت جريمة قتل.»

وبدا منزل كريستابل كالمنازل التي تظهر في قصص الحرب الأهلية الأمريكية ...وزال شعورها بالقلق والتوتر لتأخرها بمجرد أن قدمها لو لذلك الرجل القصير المتكوّر ذي الصلعة اللامعة والوجه اللامع والعينين السوداوين اللامعتين. لكن لم يبد عليه أنه صاحب

القوى الخارقة في الاستوديوهات حيث يعمل لو . أما ماجدة فكانت، كما وصفها جيري . شقراء رائعة، بدينة الجسم في أوائل الخمسين من عمرها، ترتدي ثوباً أسود رقيق الثنيات وتتلألأ الماسات في تموجات شعرها الذهبي وفي ذراعيها البدينتين. وبكل بساطة غفرت لهما تأخرهما وهي تضحك وتقول للو في صوت عال :

«الوصول المتأخر أرحم من عدم مجيئكما بالمرة.»

ثم أدارت وجهها إلى فاي وقالت وهي تقرص وجنتها بيدها البضة المزينة بالخواتم :

«كيف تسبب ذلك الفتى الرديء في حضوركما متأخرين ؟ هل كان مشغولاً بتقبيلك ؟»

فاحمر وجه فاي خجلاً، فغمزت ماجدة إلى لو قائلة :

«الشباب لا يدوم طويلاً.»

ثم أدارت رأسها إلى فاي وأشارت بيدها التي تتلألأ بالمجوهرات نحو نفسها وقالت :

«سوف تبدو مثلي في يوم من الأيام. فماذا تفعل حينئذ أيها الصبي الكبير ؟»

فضحك لو ورفع حاجبيه متطلعاً إلى فاي بخنصرها الرقيق ورسغيها وقدميها النحيلة وسألها :

«ما رأيك أنت ؟»

فقابلت نظرته وقالت له :

«أظن أنه عندما يجيء ذلك الوقت تكون قد وجدت لنفسك دمية جديدة.»

ثم استدارت وتبعت ماجدة إلى غرفة الاستقبال، حيث تجمع ثمانية أو تسعة أشخاص يحتسون الشراب وينتظرون العشاء، وتنفست

فاي الصعداء عندما وجدت أن وليمة العشاء تتكوّن من جماعة قليلة وأنها لا تضم ثاليا فان دين .

وكان يجاور فاي في العشاء فتاة طويلة القامة، شعرها يميل إلى الاحمرار ويبدو أنها بمفردها. وفي الناحية الأخرى جلس رجل يرتدي سترة من الصوف ويكثر الكلام عن قرحة المعدة التي يعاني منها ويقول لفاي إن هذا العشاء سوف يتسبب في قتله عندما يأتي الصباح.

فابتسمت ولم تجد بداً من موافقته. وفجأة مالت عليها الفتاة التي تجاورها من الجهة اليسار وقالت لها :

«إننا ننتظر تسلية مثيرة بعد العشاء. فماجدة وكارل قد اتفقا مع إحدى العرافات الغجريات كي تطلعنا جميعاً على مستقبلنا. وأتمنى أن تعدني بهدية، مثل ذلك الرجل الضخم الذي يحدث ماجدة .

وتابعت فاي نظرة الفتاة عبر المائدة، وابتسمت وهي تأكل البط ثم أردفت الفتاة تقول :

«هذا الرجل يجعلني أشعر بقشعريرة.»

فبرقت عينا فاي وقالت :

«هل هذا صحيح ؟»

«لا تقولي لي إنه لا يؤثر فيك !!»

«لا بد أن أقر بأنه وسيم للغاية.»

«بل هو أكثر من ذلك. إنه مولود في غير هذا القرن. أكاد أراه يجوب سطح مركب القرصان ويمسك بيده سكيناً تقطر دماً.»

دهشت فاي وتمتمت :

«أو يتسابق في عربات على طريقة إيبان الروماني .» برقت عينا الفتاة وقالت لفاي :

«إذن أنت تفهمين ما أقول وترين فيه لمسة الطبقة العليا من الرومان. هذا الرجل قادر أن يؤلم بشدة ولكني لن أهتم بذلك.»

«وهل يرجع حكمك إلى أنه رجل خارق فيبرر له ذلك الخروج عن ناموس التصرف الطبيعي ؟»

وراحت الفتاة تتأمل هذا السؤال وتعجب من الجدية التي ظهرت في وجه فاي وقالت :

«أعتقد أن تسعة من عشرة من النساء يغفرن لهذا الرجل. أما العشر الأخير فيفتقر إلى المشاعر القوية.»

ثم أردفت الفتاة :

«هل تغفرين لهذا الرجل أخطاء ؟»

«إني أغفرها له طول النهار ... إنه زوجي.»

فاضطربت الشوكة في يد الفتاة وقالت وهي تضحك :

«فلماذا تركتني أبوح لك بأسرار قلبي ؟ ولكن لعلك اعتدت الآن الاستماع الى التنهدات الحاسدة التي تطلقها النساء الأخريات.

ثم أردفت :

«أنا أعتقد أنك تلك القطة التي يود ذلك القرصان الجسور أن يحملها إلى كل مكان يذهب إليه. وإني أحسدك كثيراً.»

«هل هذا صحيح ؟»

وكانت هذه الملاحظة تسعد فاي ذات يوم، لكنها اليوم تؤكد مدى امتلاك لو لها، فهي قطته الصغيرة وهي دمية وهي قطعة من غنائمه.

وبعد العشاء، تجمع الضيوف في غرفة الاستقبال الفخمة، وهناك أعلن كريستابل مفاجآته وهي قارئة الطالع، فبدا على لو عدم الاهتمام إذ أدار وجهه لفاي وهو جالس على ذراع مقعدها.

وكانت العرافة امرأة مهيبة. طويلة القامة في منتصف العمر، ذات عينين سوداوين براقتين وجلد أسمر، ولها وشم على خدها الأيسر، وكانت تعلّق في عنقها عقداً يتكوّن من عدد من العملات المتنوعة، وتربط رأسها بمنديل أحمر، وكانت يداها كبيرتين خشنتين جداً. جلست العرافة بجانب منضدة تقلب أوراق اللعب. وكان معظم الحاضرين قد تأثروا بهيبتها إلاّ لو . اذ راح يبتسم وينظر إلى جسمها النحيل بعينين جريئتين.

وجلست تراقب أوراق اللعب تنساب بين أصابعها ثم رفعت رأسها فجأة فوقع نظرها على لو . وكانت سخريته الصريحة وعدم اهتمامه بها سبباً في طعن كبريائها فنادته وجعلت منه فريستها الأولى. ومدّت له يدها فجأة وقالت وصوتها الأجش يرن في الغرفة كلها :

«إنك تشك في مقدرتي على قراءة الغيب. أليس كذلك أيها الشاب ؟ وهل تظن أن الغيب يختفي وراء ستار كثيف لا تقوى عين الانسان على اختراقه ؟

هز لو رأسه وقال رداً عليها :

«أنتم الدجالون لا تؤثرون عليّ ابداً»

«إذن اقترب من المنضدة واختر ورقتين.»

«أفعل ذلك لمجرد التسلية.»

ثم اقترب من المنضدة وراحت المرأة تقلّب أوراق اللعب بينما النقود المعقودة حول عنقها تخشخش والنظرة التي تحدج بها لو نظرة خبيثة. وعندما اقترب منها مرت فوق وجهها تقلصات غريبة جعلت شفتها العليا تكشف عن أسنانها، وبانت في عينيها نظرة ثاقبة لمدة ثانية فقط ثم أسبلت أهدابها السوداء فغطت عينيها.

ولما وصل لو إلى المنضدة أشارت إليه أن يقلب ورقتين من أوراق اللعب، ففعل بدون اكتراث وكانت الورقتان ملكاً أسود وجوكر أحمر.

ثم قال لو ساخراً :

«والآن اخترقي الستار واقرأي المستقبل إذا أمكنك ذلك.»

راحت المرأة تضحك ضحكة خاوية جعلت النقود تخشخش ثانية، ثم أخذت تحرك الجوكر وتضعه بجانب الملك الأسود وتدفعه بأصبعها، وقالت وهي تغالب ضحكتها :

«في حالتك أيها الشاب يحسن لي أن أدع الستار منسدلاً.»

ثم أشارت إلى فاي وقالت لها :

«إني أفعل ذلك لأجلك.»

فقبض لو على كتفي المرأة بشدة حتى أن رأسها الداكن راح يدور وهو يصيح فيها قائلاً :

«لا تحاولي إخافتها.»

وساد الغرفة سكون رهيب متحفز مترقب، وتركزت كلّ العيون على لو وعلى العرافة، ولكن فاي كانت تشعر أن كل الأفكار تدور حولها، فانكمشت في مقعدها وابتهلت كي ينتهي سريعاً المنظر الدائر حول المنضدة.

«ليس في قدرتي أن أخيف زوجتك، بل تكمن هذه القدرة فيك.»

ثم جذبت كتفيها من قبضته، وجمعت أوراقها وراحت تقلبها ثانية ودارت بعينيها حول الغرفة قائلة :

«من منكم يأتي إلى الآن ؟»

قرأت فاي الفتاة ذات الشعر الأحمر التي كانت تجلس بجانبها حول مائدة العشاء، تقف وتقصد إلى المنضدة.

لزمت فاي الصمت وهي عائدة بالسيارة إلى المنزل. فقد كان

ذلك المساء غريباً كالكابوس. والآن تشعر أن حيويتها نضبت وأن روحها خوت من كل شيء ما عدا الشعور بالتعب والخوف من المستقبل. وجلست في السيارة تنظر إلى الجهة الأخرى بعيداً عن لو . وترى الشوارع تنساب بسرعة حولها فارتجفت وراحت تمرغ خدها في جلد السيارة البارد لعلها تحس بالأمان ... كانت على حافة البكاء. فحياتها مع لو ترتكز على رمال متحركة. إذ قد يشعر بالسأم منها في أي يوم. وبرغم أنها تعرف تعاليه وغطرسته إلا أنها تخاف من مستقبل خاو بدونه. فهو يمتلك قلبها ويمتلك كذلك القدرة على تحطيمه !

تشبثت فاي بصداقة جيري بشدة. وتمسكت به تمسكها بطوق النجاة الذي إذا لم تقبض عليه فستغرق وتضيع في هذه الدنيا الغريبة التي دخلتها من أجل حب رجل لا يحبها.

وكانت من السذاجة بحيث لم تفطن إلى اللغو الدائر حولهما والذي وصل إلى أذن لو فجأة أثناء إحدى حفلات أوليف هادلي

وكان جيري قد رقص مع فاي في الشرفة ثم أخذا يطلان على أنوار المدينة ويعجبان بها وحينئذ قال جيري :

«ما رأيك في النزهة بالسيارة يا فاي ؟»

«لا أجرؤ على ذلك.»

ولكن الحفل كان صاخباً . ودخان السكائر يملأ الغرف،صفاء الجو يغري بالقبول. وأضاف جيري :

« لو لن يفتقدك، فهو منهمك في لعب الورق.»

«كم يستغرق غيابنا ؟»

«لن يتعدى نصف الساعة. تحرري من حياتك الزوجية لمرة واحدة فالكل يشيد بإخلاصك للو .»

احمرّ وجهها وقالت :

«تقصد أن الكل يسخر مني لأن لو يتركني في ركن منعزل بينما يلعب الورق.»

«ممكن جداً.»

وخرجت فاي مع جيري وغابا أكثر من نصف الساعة بكثير. وكانت سيارة جيري الكاديلاك تطوي الأميال بسهولة ويسر. واستمتعا بهواء الليل العليل ونجومه اللامعة ولم ينتبها إلى مرور الوقت. واتخذا طريق البحر، وأخذ الهواء يحمل لهما رائحة البحر المالحة بينما سبح القمر عالياً مضيئاً فوق البحر القاتم. وأخذ راديو السيارة يبث الموسيقى الحالمة. الدنيا بدت خيالية وجعلت فاي تتحرر من الهموم والمتاعب وقال لها جيري :

«اتركي شعرك منساباً يتطاير مع النسيم.»

فشعرت فاي بالارتياح لتطاير شعرها وقالت :

«هذا رائع ... كأني في عربة تجوب أنحاء السماء.»

«يا لك من فتاة مضحكة !»

قال جيري ذلك ثم أوقف السيارة على التلة وهو صامت. وألقى برأسه على جلد السيارة وشاركته فاي الصمت واستكانت إلى دفء صداقته.

ثم أخذ جيري يتكلم عن نفسه فقال :

«هل سمعت عن حي برونكس يا فاي ؟»

«سمعت عنه من الكتب والأفلام.»

«حي برونكس يجذب المؤلفين ومخرجي الأفلام. ولكني عشت فيه

ولم أشعر بجاذبيته. فقدت أبوي وأنا صغير. وعشت على هامش حياة أسرة إيطالية فقيرة تكاد لا تقوى على إطعامي. ولما بلغت الثالثة عشرة جئت إلى كاليفورنيا وعملت في بستان فاكهة. ثم حصلت على وظيفة كنت فيها أنظف غرفة للمراهنات وأقدم الشراب لروادها. وهكذا كانت حياتي سلسلة من الأعمال الحقيرة، وطعامي لا يكفيني. وكانت عيناي تتابعان بحسد أصحاب السيارات الغالية من نجوم الشاشة حتى صرت أقول لنفسي :أصبح نجماً سينمائياً ... وهكذا كان. وأصبحت أمتلك هذه السيارة لكني أحياناً أشعر كأني لا أمتلك شيئاً. إنني أبلغ الثانية والثلاثين من عمري ومن ذلك الصنف من الرجال الذي يحب الاستقرار في بيت مريح مع زوجة وأطفال..»

«ألم تقع في الحب أبداً ؟»

«نعم أحببت زوجة رجل آخر... الوحدة تخيم على من يحب امرأة متزوجة !»

وهكذا بقيا يتحدثان لمدة ساعتين مرتا كالبرق. ثم رجعا بعد أن انصرف جميع المدعوين ماعدا لو ... فوجداه جالساً أمام البيانو وأصبعه ينقر عليه. أما أوليف فجلست أمام المدفأة. وكان قلب فاي يدق هلعاً وهي واقفة بالباب بجانب جيري . وبرغم أن نزهة فاي مع جيري كانت بريئة تماماً إلا أن وضع لو بكتفيه العريضتين والطريقة التي كان يدخن بها سيكاره جعلا فاي تشعر بالذنب والخوف.

ثم قام لو بتراخ وسألها وهو ينظر إلى شعرها المنساب :

«هل أنت مستعدة الآن للذهاب إلى المنزل ؟»

فتدخل جيري يقول :

«اسمع يا لو ، لا تظن بنا الظنون. فقد قمنا بنزهة في السيارة.»

«وأية ظنون يا ترى ؟»

ثم التفت إلى أوليف .

«سوف نراك قريباً.»

ثم قبض على ذراع فاي وقادها برفق من الغرفة.

ولم ينبس لو بكلمة وهما في السيارة، ولكن فاي كانت خائفة من تصرفه هذا. وتخيلت كيف واجه لو نظرات الشماتة عندما كف عن لعب الورق، وجاء يبحث عنها فلم يجدها في ركنها المنعزل. ولابد أن أحدهم تبرع وأخبره بذهابها وهو يبتسم سعيداً بأن يقول للو المتعجرف المتعالي :يا عزيزي. تسللت فاي مع جيري منذ ساعات طويلة ... مع جيري الذي يمقته.

وأقلهما المصعدإلى الطابق العلوي من كريستابل كورت فارتجفت فاي . وبرغم أنها كانت ليلة دافئة إلا أنها كانت تشعر ببرودة في الداخل والخارج. وفتح لو باب الشقة ولكن فاي لم تتحمل الصمت القائم بينهما فقالت :

«قل لي يا لو ، ماذا تظن بي ؟»

فلم يرد. وبدت فاي في هذه اللحظة جميلة رائعة ثم قالت :

«إذا كنت تريد المشاجرة لأني ذهبت مع جيري في نزهة بريئة دعنا نتشاجر ثم نفض الخلاف.

فرد لو يقول :

«نزهة بريئة ؟ وهل كانت حقيقة بريئة ؟»

فبرقت عيناها وقالت :

«إذا كنت تعني أنها غير ذلك. فأنت مخطىء، وتقذفني بالاثم.»

«كنت مع رجل مثل جيري كوفمان لمدة ساعتين ... وأصدق أنها بريئة !

«تجولنا في السيارة ولم نتكلم كثيراً.»

«أصدق أنكما لم تتكلما كثيراً.»

وفجأة اجتاح فاي الغضب. فبأي حق يتهمها لو أن جيري طارحها الغرام ألا يثق فيها؟ يعلم أنها لا تحتمل قبلات أي رجل آخر غيره؟ إنها تتقبل عطف رجل آخر وليس ممارسة الحب معه.

ولما أوقدت المصباح الجانبي رأت نفسها في المرآة شاحبة، وشاهدت لو يقف في الباب ويقول:

«كنت أصدقك إذا كان الشخص الذي معك غير كوفهان، ولكني لا أصدق أنه لم يمسك لمدة ساعتين كاملتين. إنه ليس بالرجل النبيل الذي يسيطر على تصرفاته.»

«لا تصدق! ولا تقبل! إني لا أقبل أن تتهمني بجرم لم أرتكبه.»

«ولماذا كل هذه الحماسة إذا كنت تقولين الحق؟»

وتملك الغضب فاي فأطاح بحبها له وبتحفظها وبكل شيء وقالت له:

«أنت لا يحق لك اتهامي أو اتهام جيري. فأنت ذلك الوغد الحقير الذي دفع بابيتز هولدن إلى حتفها.»

وخطا لو نحوها بسرعة وأمسك كتفيها وسألها:

«من قال لك هذا؟»

«ثاليا فاندين منذ أسابيع.»

«وهل صدقتها؟»

«هذه هي الحقيقة. أليس كذلك؟ أقرت بات بهذه الحقيقة أيضاً. وأشارت ثاليا الى أنك أسأت معاملة تلك الفتاة وأنك صرحت أثناء التحقيق بأنك طردتها.»

«إذن فحكمك عليّ الآن أنني وغد.»

«نعم يا لو! هذا هو حكمي عليك!»

كانت فاي تود أن تؤلمه ثم سمعته يقول:

«وماذا إذا أنكرت قصة ثاليا؟»

«ستضيع وقتك. إذ لم أعد تلك الفتاة البلهاء التي أتيت بها إلى هوليوود، فلن تخدعني مرة ثانية لأني أعرفك جيداً.»

أخذ ينظر إليها لبرهة ثم جمع ملابس نومه وقال:

«سأنام في الغرفة الأخرى هذه الليلة. لا بد أنك تفضلين ذلك.»

شعرت فاي بالتعاسة، لأن لو لن يغفر لها جهرها له بالحقيقة أو معرفتها إياها. فقد بانت الدهشة في عينيه ثم الغضب عندما نطقت باسم تلك الفتاة. ولكن كان لا بد له أن يدرك أنها سوف تعرف القصة عاجلاً أو آجلاً، وخصوصاً في هذه المدينة المملوءة بالشائعات. فإذا لم تسمعها من ثاليا فهناك غيرها...

وانتابها الندم لأنها لامت لو لمعاملته لاينز، وراحت تتساءل كيف يعاملها في الصباح... هل يغفر لها؟ أم يأمرها أن تخرج من حياته؟

وكان نومها مضطرباً فشعرت بالوحدة وافتقدت ذراعي لو القويتين حولها. ولما استيقظت كان الوقت مبكراً، ولكنها هبت واقفة لأن نومها تتخلله الأحلام المزعجة، وقصدت المطبخ لتعد الافطار.

وحملت الطعام إلى غرفة الجلوس حيث جلس لو يقرأ الجرائد، فلم يرفع رأسه عندما وضعت فاي طبق البيض أمامه. لماذا يلزم الصمت؟ وراح يأكل طعامه ويشرب القهوة ثم أخذ يعاود قراءة الجريدة.

وشعرت فاي بالتعاسة، فأزاحت طعامها جانباً بدون أن تلمسه. وكانت في طريقها إلى المطبخ عندما قال لها لو:

«لا تنسي أننا سوف نحضر الليلة افتتاح فيلم بيل.»

«هل تريدني أن أذهب معك ؟»

ثم شعرت فجأة أنه وراءها وأنه يديرها حتى تواجهه ويقول :

«ليس لدي النية أن أسلب بيل سعادته لمجرد أننا تشاجرنا. فالرجل المسكين كان مريضاً هذه الأسابيع الأخيرة. والليلة لها أهميتها لديه.

«حسناً يا لو.»

ثم خرج من الغرفة وصفق الباب، وبعد دقيقة سمعته يغادر الشقة.

كان مدخل السينما، حيث يعرض فيلم بيل سيمنز وعنوانه «قمر الصياد»، يموج بالحاضرين، وتتلألأ فيه المجوهرات الثمينة تحت أنوار النيون وأضواء عدسات التصوير، وتمتزج العطور برائحة السكائر.

ودهشت فاي وهي تدخل دار السينما مع لو و بيل سيمونز لهذا الحشد بضجيجه وبريقهم وعطورهم. وكانت فاي لا تحب هذه الاجتماعات وخصوصاً هذا العرض الذي كان يصعب عليها أن تبقى حتى نهايته. وقفت متوترة بين لو و بيل تحس بالعيون الفضولية ترمق شعرها بإعجاب وقد صففته لدى أوليف هادلي على الطريقة الاغريقية، وتعجب كذلك بدثارها من القطيفة النبيذية. وكانت فاي تود أن تجري هاربة إلى الظلمة في الخارج. فالكل هنا لا يتقبلها، كما لا يتقبلها لو نفسه. وفجأة قبضت يد بيل على يدها وهمس يقول :

«تخيلي نفسك في حديقة الحيوان وأن الحاضرين مجرد حيوانات تستعرض نفسها أمامك. انظري هذه النمرة ذات الثوب الليموني وفراء السمور الثمين. إنها تبدو كأنها لم تتناول عشاءها. وهذه البيضاء في

ثوبها الأخضر الزمردي، وهذا السنجاب اللذيذ بأنفه المرفوع وعينيه المستديرتين !

فضحكت فاي ونظرت إلى بيل شاكرة، وكان يبدو على وجهه الارهاق والتعب، فاعتصر الحزن قلبها وسألته قائلة :

«هل أنت بخير يا بيل ؟»

«نعم.»

وكان الفيلم قصة نفسية مثيرة ذات إخراج بديع وتمثيل بارع، وبذا كانت قادرة على الأستيلاء على حواس فاي كلها، لولا أن عقلها كان مشتتاً لحالة بيل إذ كانت عيناه تبرقان من تأثير الشراب، وعندما التفت إليها ليحدثها مرة مست يده ذراعها عفواً فشعرت بسخونتها وجفافها. وراحت تراقبه خلسة. فلما ترك مقعده في منتصف الفيلم التفتت إلى لو وقالت له هامسة :

«لا أظن أن بيل بخير. لقد خرج لتوه.»

فتبعاه ووجداه جالساً على أحد المقاعد في المدخل وهو يجاهد كي يتنفس، فخرج لو مسرعاً كي يحضر سيارة، فقابله الجمهور الذي جاء كي يشاهد نجوم الشاشة وهم يدخلون ذلك العرض، وراحت النظرات تلاحقه ولكنه لم يشعر بأحد إذ استحوذ عليه منظر بيل وهو مستند على فاي في شبه غيبوبة. ولما ركبا السيارة قال بيل معتذراً :

«كان يجب ألا تتركا الفيلم.»

فرد لو يقول :

«ليذهب الفيلم إلى الجحيم.»

وراح يراقبه فوجد العرق يكسو وجهه، وفتحتي أنفه بيضاوين كالشمع متوترتين من الألم. ولما وصلا إلى شقة بيل اتصل لو

بطبيبه ولكن بيل احتج يقول :
«إنك تبالغ في الأمور، فإنني أعاني من هذه الأزمات كثيراً، ولكنها تمر بسلام.»

أخذت فاي تحلّ بعناية ربطة عنقه، فابتسم ابتسامة واهية، ثم سألته :

«أين الدواء ؟»

«في خزانة الدواء على الرف العلوي في الحمام.»

فهرعت إلى الحمام، وبينما كانت تمد يدها إلى الرفّ العلوي انتابها حالة دوار مخيف، فاتكأت على الحائط وراحت تتنفس بعمق وببطء وتغالب ضعفها بكل ما بقي لديها من قوة، ومرت بضع دقائق قبل أن تفيق وتشعر ببرودة الحائط تحت يديها وبسرعة دقات قلبها. وقفت كتمثال من الحجر فقد أصبح الشك الذي كان يراودها منذ أسبوعين مضت حقيقة واضحة. إذ أنها تنتظر مولوداً. ولما رجعت بالدواء إلى بيل كانت شاحبة لكنها متماسكة، فأخذت تعتني به وتزيح شعره الأشقر عن وجهه المبتل بالعرق وسألته :

«هل تشعر بتحسن ؟»

فأجابها قائلاً:

«نعم، إن لك يدين باردتين مريحتين. وفي المثل يقولون :اليد الباردة تصاحب القلب الدافىء لو رجل محظوظ. فهل هو مقدر لذلك ؟»

ارتفع الدم إلى وجهها، وكان لو مستريحاً وقد سكب لنفسه كأساً من الشراب، وكانت وسامته والصحة البادية عليه ولونه الأسمر على النقيض من مظهر بيل ، الذي أحالته الحمى إلى شيء واهن. ثم ابتسم بيل وقال :

«إنك بادي الصحة يا لو حتى أشعر بجانبك كأني امرأة عجوز

ضعيفة البنية.»

«الله له أحكام لانفهمها، يضع الألم والمرض في بدنك ويجعلني مليئاً بالصحة. ليتني أقدر أن أهبك حياتي.»

«هراء يا لو . إني لا أشعر بالمرارة وأنت لا يجب أن تشعر بها.»

«تقول مرارة ؟ إني ألعن الحظ العاثر لما فعله بك. فالحياة تصبح سقيمة عندما تخلو من كل شيء طيب.»

«هذه فلسفة قاسية يا لو . فبعضنا طيب والبعض سيء، وبعضنا ضعيف والآخر قوي. والله يختار من كل هذه الأنواع. وإني لا أقبل مناقشة حكمته. بل أبارك قربك يا لو وأشكر الله لكل هذه السعادة التي تدخل حياتك، فتتحمل التعاسة إذا صادفتك.»

وعندما وصل الطبيب نصح لو   فاي أن ترجع إلى المنزل قائلاً:

«يبدو عليك الارهاق. وسأبقى أنا هنا حتى يتحسن بيل قليلاً. هل لديك نقود كافية للعودة ؟»

«نعم يا لو.»

مشت فاي إلى الناصية لتجد سيارة، وفجأة رات الكاديلاك تقف أمامها، ووجه جيري كوفهان الباسم الذي يشبه وجه الصبي يطالعها ويقول لها :

«هاللو يا صغيرتي. هل أوصلك إلى المنزل ؟»

فنظرت فاي إليه بعدم ارتياح. فبالأمس القريب كان جيري أعزّ صديق لها ولكن الآن وقد فسرّ لو هذه الصداقة تفسيراً أحالها إلى متهمة، لم تعد ترضى عن تلك الصداقة. ثم سمعته يقول :

«لدينا ما نناقشه.»

«كيف عرفت أنني هنا ؟»

«حضرت حفل الافتتاح. وإذ رأيتك تغادرين المكان مع لو و بيل تبعتكم وانتظرت هنا كي أحظى برؤيتك».

«لا أجرؤ أن أركب معك يا جيري».

فغابت الابتسامة من وجهه وقال :

«هل أملك لو أيضاً يا فاي ؟».

«ماذا تعني ؟».

«طردني من تمثيل فيلم ذرة في المدينة».

«لا تقل هذا يا جيري».

«والآن هل تريدين الركوب معي ؟».

هزت له رأسها بالموافقة فمد يده ثم جذبها إلى السيارة بجانبه وقال :

«فكرت أن أتجنبك يا فاي ولكن عندما رأيتك اليوم في العرض الأول انهارت كل قراراتي الطيبة. فأنا أحبك يا صغيرتي منذ أسابيع».

راحت تنظر إليه بتعاسة، ولم تقو على الرد فقال لها :

«لا تقلقي لذلك. ولكن أقول لك إني أحسن من لو مارش. ولعلك تأخذين هذا في الاعتبار».

«آسفة لذلك الفيلم يا جيري ... وهل صرت بدون عمل ؟».

«لا. ولكني لم أسعد بطردي من الفيلم لأن دوري فيه كان رائعاً».

ولما وصلا إلى كريستابل كورت سألها جيري :

«هل أنت سعيدة حقاً مع لو يا فاي ؟ لا بد أن أتأكد من ذلك».

وشعرت به يتحسس دثارها المخملي، وفكرت أنه طيب ورقيق ولكنها لم تتأثر بإعلان حبه، وردت تقول :

«أنا سعيدة مع لو ... اعرف أنه قاس ولكني أفهمه».

«أيتها المجنونة الصغيرة !».

وفجأة ضمها بين ذراعيه وحاول تقبيلها. ولكنها قاومته بكل قوتها وهي تقول:

«إنك لا تجرؤ أنا لا أريدك. كيف تظن أني أريدك ؟».

فارتجفت يداه وبدا على وجهه الألم وقال :

«آسف».

وتركت فاي السيارة ودخلت باب المنزل. فتنهد جيري وجلس بالسيارة ينظر إلى الباب الذي احتوى قدها الرشيق.

بقي جيري في السيارة ساكناً لبضع دقائق ثم قفز منها وقصد الباب.

ولما رنّ جرس الشقة بإصرار توترت أعصابها. وفكرت في أنه ربما أرسل لو من يخبرها شيئاً عن بيل. لكن لو لا يضيع وقتاً بل يتصل بها تليفونياً

وفتحت الباب وأخذت تنظر إلى جيري في دهشة وغضب وقالت:

«ماذا تريد يا جيري ؟ ألا تكف عن ملاحقتك إياي أبداً ؟».

«ولكننا لم نفرغ من كل الحديث بعد. ولا يمكننا الابتعاد بعضنا عن بعض ونصبح غريبين. فلن أسمح بذلك أبداً. أرجو أن تسمحي لي بالدخول حتى أكلمك».

وضغط بشدة على الباب ودخل الشقة، ثم أغلق الباب، واستند بظهره عليه قائلاً :

«ماذا جرى لنا ؟ لقد كنا صديقين ... ماذا قال لك لو عني حتى أصبحت ضدي ؟ من حقي أن أعرف يا فاي».

«إنه لا يحبذ اهتمامك بي فهو زوجي».

«إنك صورة للعروس السعيدة. فوجهك شاحب وعيناك فقدتا القدرة

على الابتسام.»
ونظر إليها فوجدها ترتدي ثوباً من الصوف الخفيف رمادي اللون مطرزاً برسوم لونها تبيذي على الوسط والرقبة. وبرقت فصوص الياقوت في أذنيها. كان مظهرها أنيقاً يوحي بالثراء.

وأردف يقول :

«إني أذكرك يوم التقينا على الشاطىء، وكنت ترتدين ثوباً للبحر ...ليموني اللون وكان شعرك معقوصاً إلى الخلف بشريط ليموني. فبدوت كطفلة صغيرة. ووددت ساعتها أن أحملك وأهرب بك وليتني فعلت !»

واستعرضت فاي معه تلك الذكريات فابتسمت وقالت :

«ربما كنت هربت معك حينئذ.»

«وهل فاتت الفرصة الآن؟»

«لقد تزوجت لو وأنا أعرف أنه يريد دمية يلهو بها. وإني ألوم نفسي كلما عاملني بهذه الطريقة. ولكن الوعد حق، فسأبقى معه طالما هو يريدني.»

«لكن هذا ليس كافياً.»

وخطا نحوها وقبض على يدها ثم قال :

«انك خلقت كي يتباهى بك أي رجل ويمنحك صداقته. لا أن يحبسك في شقة فاخرة. تعالي معي يا حبيبتي سوف أعطيك البسمة والمرح، فإني أعرف كيف أرجع إلى طفولتي لنمرح سوياً ـ تعالي معي الآن قبل فوات الأوان، وقبل أن يقتل ذلك الرجل كل ذرة من شبابك المرح.»

«ولكني أحبه.»

وسحبت يديها منه وواجهته بثبات غريب أدهشه، فقال بمرارة :

«إنك أسيرة ذلك الرجل، وسوف تفيقين بعد فوات الأوان تماماً مثل

إينز. لقد حطمها وسوف يحطمك مثلها.»

«لا أقبل كلامك هذا. فليس لك الحق أن تحط من قدر لو . فهل أنت أفضل منه ؟»

«ماذا تعنين ؟ وماذا قال لك لو عني ؟»

«إذا كنت تصرّ فقد لمح لو أن سمعتك في مستوى سمعته بالذات.»

«وما هو رأيك ؟ هل تظنين أنني على شاكلته ؟»

فهزت رأسها وقالت :

«لن نصل إلى شيء بكلامنا هذا سوى أن يؤلم أحدنا الآخر. فأنا آسفة لعدم إمكاني حبك يا جيري . فلو يحتل قلبي في السراء والضراء، ولن أنزعه منه.»

«لا يا صغيرتي. ليس من السهولة بمكان أن تنزع شخصاً من قلوبنا. فأنك لا أنزعك من قلبي بسهولة، اذ تسللت فيه بوجهك الصغير وعينيك الكبيرتين. لقد ظننت أنك أحببتني يا فاي . كنت ترقصين بين يدي وكأنها مرفأ الأمان الذي تقصدين إليه وسط العاصفة.»

وخفق قلبها ومد يديه واحتواها بينهما فأسندت رأسها على كتفه وقال لها :

«كان لا بد لنا أن نلتقي منذ زمن بعيد. يا حبيبتي فاي لا تدعي لو مارش يلحق بك ضرراً. فسوف أكون قلقاً عليك دائماً.»

«إنه ليس بالوحش الكاسر. والآن يحسن بك أن تنصرف. فالوقت متأخر»

«ولكن ماذا نفعل ؟ هل أكتفي بلمحات منك في افتتاح الأفلام والحفلات والمطاعم ؟»

«آسفة يا جيري .»

وقف ينظر إليها وهو في طريقه إلى الباب ثم قال لها :

«هل أنت واثقة أنك لم تطردي الرجل الجدير بك يا فاي ؟

فهزت له رأسها، ثم خرج بهدوء من الشقة.

٥ ـ لعبة الهر والفأر

رجع لو متأخراً، وكانت فاي ما زالت مستيقظة تنتظره، فنظر إليها وهي راقدة بين الوسائد الحمراء على الأريكة، ثم سألها :

«لماذا لم ترقدي في فراشك ؟»

«لم أشعر بالرغبة في النوم. كيف حال بيل ؟ وماذا قال الطبيب ؟»

«نصح بنقله إلى المستشفى. ولا أظنه سيخرج منها أبداً، بل سيموت هناك. هو في الثالثة والثلاثين من عمره ولم يبدأ حياته بعد، ولم ينجز أعماله وهو رجل طيب. فلماذا يحل به المرض ؟»

«لا أدري يا لو . عندما كنت أشتغل في التمريض كانت تصادفني مثل هذه الحالات، وكنت أحزن لها. لذلك أعرف شعور الحزن واليأس الذي تعانيه، لأنك عاجز عن عمل شيء له. هذا شعور كئيب.

ثم سألته قائلة :

«هل ترغب في شرب القهوة ؟»

«نعم ـ أرجوك.»

ولما عادت بالقهوة والشطائر وجدت لو يقف قرب النافذة ويحدق في ظلام الليل بقامته الطويلة وظهره العريض. فعجبت فاي من شخصيته المتناقضة. إذ عرفت اليوم أنه طرد جيري من دوره لمجرد

حقد، ولكنه الآن يعف وقلبه أسى لأجل بيل ، تملكته المرارة لأنه عاجز عن درء أجنحة الموت وأخيراً قالت :

«تعال كي تشرب القهوة قبل أن تبرد.»

جلس لو على الأريكة بجانب فاي وقال لها :

«سوف أذهب إلى أنكلترا بعد أسابيع قليلة وذلك بعد الانتهاء من التصوير. فكريستابل يود إخراج قصة لشكسبير، ولا أخفي عليك أنني متحمس لذلك. وسوف أذهب إلى ستراتفورد كي أقنع واحداً من الممثلين من عزلته. ويمثل معنا.»

«وماذا عن الرقابة ؟»

فابتسم يقول وهو يأكل الشطائر :

«هذه هي العقبة. ولكن كارل يمكنه تحمل الخسائر إذا أخفق الفيلم. أما أنا فسوف أشعر بالرضى لاخراجي فيلماً فنياً يتكلف كثيراً ولا يدر إيراداً. ومن العجب أن قصص شكسبير بكل إثارتها لا تنجح في جذب الجمهور وتحقيق إيراد كبير. فهل تعرفين السبب ؟ ذلك لأن الناس يشمئزون من الرغبة ويغلفون الجنس بكلمات أخرى مثل كلمة الحب.»

«هذا لأن من طبع المرء أن يجذبه الغلاف الجميل يا لو . مثل الفتاة التي ترتدي الحرير والهدية الموضوعة في صندوق مزخرف. فالحياة تصبح لا طعم لها إذا لم تجمل.»

حدق لو في فاي وراح يضحك وفجأة سألته فاي

«لماذا سحبت الدور من جيري كوفمان ؟»

«هل علمت بذلك ؟»

«قابلت جيري الليلة.»

«حقاً ؟ وما وجهة نظره ؟ هل قال إني طردته من الفيلم لأنه يتعقبك ؟»

«أظن أنك فعلت ذلك حقداً عليه.»

«ما أحسن الصورة التي لديك عني يا فاي ! فكيف تطيقين البقاء معي في غرفة واحدة ؟ الواقع أنني أنا وكوفهان لم نوفق في العمل معاً وهذا يضر الفيلم، ولكني لا أسمح للحقد أن يؤثر عليّ يا فاي، ولك أن تصدقي أولا تصدقي ما أقول، ولن أحزن إذا اخترت ألا تصدقيني.»

تنهدت فاي فسمعت لو يقول :

«قوليها، يا فاي ... قولي إنك أصبحت لا تحبينني.»

فنظرت إليه بعينيها الزرقاوين وقالت هامسة :

«إذا أردت أن تقص جناحي وتحد من حريتي فافعل يا لو.»

«أهو الشعور بالذنب أم روح الاستشهاد تدفعك لأن تعرضي هذا العرض ؟»

فحدقت فيه وقالت هامسة :

«إني أعجب من نفسي. لماذا أحبك ؟ فأنت قاس كالحديد.»

وضع لو فنجان القهوة جانباً، ومد يده وقبض على رسغها وجذبها نحوه بشدة فسقطت على صدره وقال لها :

«آسف لأني لست ذلك الفارس ذا الدرع البراق الذي كنت تتمنينه، ولكني أحرص على أن أعاملك بالحسنى بأقصى ما بوسعي وكما لا أعامل غيرك.»

وشعرت بدقات قلبه القوية، وفي هذه اللحظة بالذات تنبهت إلى أنها تحمل طفله في أحشائها، وتساءلت ماذا يقول اذا أطلعته على الحقيقة الآن ؟ وكيف يتصرف يا ترى ؟ هل يمنحها حنانه ؟ أم يروح يتخبط لأن زواجها المؤقت سوف ينجب طفلاً ؟

«فيم تفكرين ؟»

فحاولت التخلص من قبضته وقالت :

«لا شيء، أشعر بالتعب يا لو ... دعني أذهب إلى الفراش.»

«من برهة مضت ادعيت أنك لا تشعرين بالنعاس. ماذا بك يا حبيبتي ؟ هل أنت خائفة من أن أضغط عليك برغباتي العاطفية ؟ وهل أصبحت لا تستسيغين لمساتي بعد أن ذقت لمسات كوفهان ؟»

وراحت تتخلص من قبضته والألم يطل من عينيها وهي تقول :

«إنك حقير ... دعني وشأني ... دعني يا لو.»

«لا بد أن أقول لك أولاً طالما أنك تعيشين تحت سقفي لا بد أن تبتعدي عن كوفهان. أنت زوجتي ويجب أن تفعل ما آمرك به. اتهمتني مرة أنني اشتريتك، نعم يا فاي اشتريتك وابتعت عواطفك، وعندما أريد أن أتمتع بتلك العواطف فسوف أفعل. على أن أكون الوحيد الذي له الحق في ذلك»

وفجأة دفعها على الوسائد فرقدت فاي ساكنة تعيسة. ثم قال لها بسخرية :

«هل هذا استسلام أم عدم اكتراث ؟»

وفي اليوم التالي ذهبت فاي لاستشارة الطبيب الذي أكد حقيقة الحمل. وكان الطبيب شاباً ضخماً أخذ ينظر إليها بود ثم سألها :

«ماذا يقلقك يا سيدة مارش ؟ الأطفال مبعث سرور للناس وعندي منهم ثلاثة.»

نظرت إليه متعجبة، فهو يبدو صغير السن لا يوحي بأنه متزوج. ثم قال لها :

«عندما أكدت لك لأول مرة حقيقة حملك برقت عيناك فرحاً. والآن ماذا يحزنك ؟ هل تظنين أن زوجك لا يريد هذا الطفل. إني أعرف كثيراً من الأزواج عندهم هذا الشعور الخاطئ، فهم يتوهمون أن مجيء الأطفال

قد يؤدي إلى إهمال زوجاتهم إياهم. إذ يحولن اهتمامهن وعطفهن إلى الأطفال. هل هذا ما يقلقك يا سيدة مارش ؟»

ليت الأمر بهذه البساطة. ومع ذلك ردت تقول :

«أظن أن هذه هي مشكلتي.»

«إذن عودي إلى المنزل وحوّلي اهتمامك كله إلى زوجك. فسوف يرغب بعد ذلك في الأطفال دائماً.»

ثم راح الطبيب يحدثها باهتمام ويقول :

«يجب أن أقول لك يا سيدة مارش إن هناك نساء خلقن كي يحملن أطفالهن بسهولة ويسر. والأخريات لا يشاركنهن هذا الحظ السعيد.»

«وهل أنتمي إلى الزمرة الأخيرة ؟

«نعم للأسف. ويجب أن تهتمي بنفسك فتستريحي. ولكن بدون أن ترهقي نفسك. والقليل من الرقص لا يضرّ. ولكن تجنبي السهر والحفلات الصاخبة والسفر المرهق. الكثيرات من النساء يمكنهن ممارسة كل هذه الأشياء بدون ضرر. ولكن أنت لن تتحمليها.

فصاحت فاي تقول :

«لا تقل لي إنني سوف أصبح طريحة الفراش.»

«لا أبداً. بل خذي الحياة بهدوء وسكينة. خصوصاً في الأشهر الأولى من الحمل. ولا تنسي أن تحضري لزيارتي بانتظام.»

خرجت فاي مذهولة. وتذكرت بسرور أن لو لم يدعها إلى الذهاب معه إلى انكلترا . فلعل الأقدار تتحالف لتبعدها عنه. فإذا طلب منها لو الآن أن تذهب معه فسوف ترفض.

بعد ثلاثة أسابيع مات بيل سباتز . وبرغم أن فاي و لو كانا يتوقعان ذلك. لكن الخبر صدمهما. وحضرا الجنازة مع المئات غيرهم. كان بيل محبوباً من الجميع. وهال فاي أن ترى أناساً لا يبدو

عليهم الحزن ينهارون ويبكون عندما وارى التراب نعش بيل .

أما لو فبقي متماسكاً طوال مراسم الجنازة. ولكنه انهار بعد رجوعه مع فاي إلى المنزل. فدخل الغرفة وأخذ معه زجاجة الشراب وأخذ يشرب إلى أن غاب عن وعيه. ولم تدهش فاي لتصرف لو . فهي تعرف أنه لن يتقبل موت بيل بسهولة. فتركته وشأنه إلى أن بلغت الساعة التاسعة. ثم جهزت له القهوة ودخلت عليه فوجدته مستلقياً بعرض الفراش ... شعره مشعث ... وربطة عنقه سائبة. وسترته ملقاة قرب السرير.

وضعت فاي القهوة على المنضدة قرب السرير. وجلست على حافته وأخذت رأس لو بين يديها.. ولما تشبث بها وضعت خدها على شعره وأخذت تهدهده وتقول هامسة :

«أعرف يا حبيبي شعورك. فالألم يعتصرك لفقد شخص تحبه. إنني أعرف يا لو ذلك الشعور بالمرارة والأسى.»

وبقي ساكناً بين ذراعيها لعدة دقائق ثم تنهد وابتعد عنها وأخذ ينظر إليها بعينين محمرتين من أثر الشراب وقال لها :

«سوف أسرّ عندما نغادر هذا المكان. وإنني أتعجل سفرنا يا فاي ..»

فسألته قائلة :

«وهل تريدني معك ؟»

«بكل تأكيد. وهل ظننت أني أتركك في هذا المكان الملعون ؟إني لست بهذه السفالة.»

ثم قامت تصب القهوة. لقد قال لها الدكتور فورستر ألاّ تجهد نفسها بالسفر. ولكن لو محتاج إليها بشدة ولن ترفض له هذا الطلب. وخصوصاً أنه الأول من نوعه في علاقتهما معاً. فلقد رأت في عينيه نظرة استجداء. وهو يرفع شعره عن وجهه ويبدو وقد ذابت الصلابة

عن فمه. ولكن إذا أخبرته الآن عن الطفل فسيصرّ على السفر وحده إلى انكلترا . فلم تقو على إخباره لأن الوحدة كانت تطل من عينيه. وهو يريدها معه فلن تقوى على مخالفته.

ذهبت فاي إلى الطبيب قبل سفرها بأيام معدودة، وشرحت له ملابسات الرحلة. وبالغت في عدم تقبل لو موت صديقه بيل وقالت :

«لن أتخيله يسافر وحده.»

«ولكنك تعرضين طفلك للخطر يا سيدة مارش».

«ولكننا سوف نسافر بالطائرة، وهي ليست بالرحلة الطويلة.»

فقال لها بجدية :

«تقبلي نصيحتي وابقي هنا.»

هزت رأسها قائلة :

«إن لو يأتي في المرتبة الأولى !»

وقفت فاي تتطلع إلى النافورة التي تتدفق فوق بحيرة آفون وعلى يسارها شمخ مسرح شكسبير التذكاري الحديث، تنعكس صورته بكل بساطته المعمارية على المياه الصافية، ولكن فاي كانت تشعر فقط بالهواء البارد يلفحها وبأوراق الخريف تتساقط على قدميها.

فارتجفت وأخذت تضم ياقة معطفها على عنقها ووجهها. طال غياب لو، فقد اقترح عليها أن تتجول في البلدة بدلاً من حضور المؤتمر الممل معه في الفندق الصغير القائم في الناحية. ولكن المؤتمر الذي كان يضم رجال السينما المهتمين بقصة شكسبير الجريئة، ومعهم الممثل الذي جاء لو خصيصاً كي يضمه إلى الفيلم. فأشعلت لنفسها

سيكارة ولكنها شعرت برجفة في يدها تركزت على ساقيها اللتين كادتا تنثنيان تحتها. فأخذت تجذب أنفاساً عميقة من السيكارة جعلتها تسعل قليلاً.

كان هذا شهر مارس آذار في انكلترا بسحبه البيضاء، وقد أشعر فاي بلسعة برد بعد تعودها على جو هوليوود الدافئ.

وراح الهواء يطيرّ شعرها وينثره على جبهتها. فلم تشعر بوقع خطوات خلفها،إلى أن سمعت صوتاً مألوفاً يقول لها :

«أعرف مشرباً للشاي حيث تجد الفطائر مصنوعة كتحف من الفن. والشاي مثل الرحيق ... هيا معي نجربها.»

فالتفتت مندهشة تحلق في أعماق عيني جيري كوفهان

ثم شعرت بالدفء يكتنفها ويعيد إليها الحيوية، ويجعل عينيها تبرقان بلونهما الأزرق. وهتفت تقول :

«هل هذا أنت يا جيري ؟ ماذا تفعل هنا ؟»

«أتمتع بمفاتن ستراتفورد وأشم عبير هوائها.»

وأخذ يطوف بنظره على وجهها بود ومحبة وإعتزاز وقال :

«لقاؤك يسعدني.»

«كنت أشعر بالوحدة عندما ظهرت لي.»

«تعالي معي نأكل الفطائر وسأقص عليك كل شيء.»

«ولكنني أنتظر لو .»

«وأين هو ؟»

«إنه يعقد صفقة عمل. وعندما يناقش أعمالاً سينمائية أجي، أنا في الأخير حتى أعتقد انه نسي حضوري معه ...»

«وإنك تشعرين بالسأم وبالجوع.»

ثم أمسك بذراعها وقال :

«تعالي معي إذن لأطعمك اللحم البقري والحلوى، فأنت تحتاجين إلى اللحم البقري الأحمر والصلصة يا صغيرتي.»

ومشى معها على الحشائش إلى المطعم وهناك تناولا وجبة كاملة. وأثناء شرب القهوة أخبرها بالغرض من مجيئه إلى انكلترا وقال :

«أبرمت عقداً جيداً مع شركة صوفيا للأفلام، وهي شركة أوروبية، وكنت معجباً بالأفلام التي تنتجها، والظاهر أنهم أعجبوا بي أيضاً. كنت قد أصبت بالعمل في هوليوود من تمثيل اللون نفسه من الأدوار، وسأعرف كيف أنطلق وأفرد جناحي مع شركة صوفيا .»

ثم نظر إليها وابتسم :

«إنك اليوم أجمل منك في أي يوم مضى.»

ولكنها تجاهلت هذا الاطراء، وقالت :

«وماذا تفعل في ستراتفورد ؟»

«إنني هنا كي أخطف زوجة لو مارش .»

«وهل جننت ؟ حسبت أنك قد تركت هذا الهراء جانباً.»

«هذا ليس هراء بالنسبة إلي، فأنا أحبك يا فاي وسوف أفوز بك.»

«ولكن الذي اتفقنا عليه في هوليوود مازال سارياً. أتظنني تغيرت ؟»

«سوف تتغيرين يوماً ما ويبطل السحر الذي لفك به لو وأنا أود أن أكون بقربك حينذاك، ولذلك أظهر لك دائماً كالمارد المسحور.»

ولما رجعا إلى المسرح التذكاري رأيا لو يتمشى بجانب البحيرة، فحملق لو فيهما عندما اكتشف جيري وهو يمسك بيدها ويساعدها على اجتياز الطريق، وقال لها :

«أين كنت بحق الشيطان ؟»

فابتسمت له وقالت :

«شعرت بالجوع والبرد وفجأة ظهر لي جيري فاصطحبني للغداء.»

«كان في إمكانك الرجوع إلى الفندق إذا كنت بهذا الجوع، فمن يسمعك يقول إنني أهملتك عن عمد.»

ثم وجه نظرة إلى جيري وقال ساخراً :

«ماذا تفعل في ستراتفورد ؟ هل تثقف نفسك ؟»

«جئت في جولة سياحية، وقد ذهبت أمس لزيارة قلعة ووريك وهي مكان رائع يجب ألا تفوتكما زيارته.»

«أشك أننا سنجد الوقت لذلك، فسوف نرجع إلى لندن هذا المساء.»

فسألته فاي متعجبة :

«هل نحن ذاهبان حقاً ؟ ظننت أننا سوف نبقى هنا لبضعة أيام أخرى.»

«الأجدر بك أن تودعي صاحبك، فسأسرع إلى الفندق لأجري بعض الاتصالات.»

ونظرت فاي إلى جيري تقول :

«الوداع يا جيري . أرجو أن توفق في العمل مع شركة صوفيا .»

«سوف أوفق يا صغيرتي.»

ثم ذهب.

وشعرت فاي أن الجو برد ثانية بعد ذهاب جيري بصداقته الدافئة فالتفتت إلى لو قائلة :

«لماذا لا تعامل جيري بتهذيب ؟»

«ولماذا يغضبك أن أعامله بهذا الأسلوب ؟»

«لأنه صديقي ولا حق لك أن تسخر منه، وإذا كنت تكره جيري فلست مجبرة أنا على ذلك.»

وأخذ ذراعها واجتاز الطريق وهو يقول لها :

«إنك تشعرين بالزهو لأن جيري يتبعك إلى كل مكان.»

وكان في ذلك القول شيء من الحقيقة ولكنها أنكرت قائلة :

«بل حضر إلى هنا كي يمثل بعض الأفلام.»

«بل هو يتبعك أينما ذهبت. فقد فزت بإعجابه. ولكن عليه أن ينتظر طويلاً. فأنا لست مستعداً أن أسلمك إليه الآن.»

جذبت ذراعها منه وقد احمرّ وجهها وقالت :

«لا داعي لأن تكون جافاً معي لأن اتصالاتك لم يقدر لها النجاح.»

وكانت قد شعرت بذلك عندما رأته يتمشى بجانب البحيرة وهي راجعة مع جيري . فاعتذر لها قائلاً:

«آسف يا فاي . وأعتقد أنني حاقد على بروستر . فهذا الممثل لن يمثل الدور. فقد صرح أن التمثيل يثير فيه الملل والآن قد عثر على عمله الحقيقي وهو الزراعة. أتصدقين أنه يفضل إنتاج الكرنب على التمثيل ؟»

وراحا ينهبان الطريق إلى لندن ليلاً في السيارة التي استأجرها كي يذهبا إلى ستراتفورد . ولم يكن لو معتاداً على وجود عجلة القيادة إلى الجهة اليمنى كما هو الحال في السيارات الانكليزية. فكانت السيارة تهتز فجأة في يده. وتجعل فاي تشعر بالغثيان الخفيف.

وكان هذا الشعور يقلقها لأن حدوثه كان قبلاً قاصراً على الصباح فقط ثم يختفي بعد ساعة. لكنه حينئذ بقي طول اليوم يصاحبه ذلك الضعف في ساقيها.

ومالت إلى الوراء وحاولت الاسترخاء حتى لا تلتفت إلى قيادة لو السيارة باستهتار. ثم قالت :

«إنك تتكلم يا لو وكأن رالف بروستر لن يمثل الدور الأول فالممثل معروف في امريكا ويمتلك الحماسة والحيوية التي قد لا توجد

في غيره من الممثلين الانكليز من مستواه.

وفجأة قال لو لفاي :

«لن أعلن خيبتي. فلدي الوقت الكافي لأرجع إلى ستراتفورد مرة أخرى.»

«الليلة ؟»

وكانت فاي تشعر بالتعب والقلق والمرض. ولذلك تذكرت تحذير الدكتور فورستر لها بأن ذهابها إلى انكلترا سوف يعرض طفلها للخطر. ثم مدت يدها وقبضت على ذراع لو وقالت :

«ألا يمكننا المبيت في أي مكان ونرجع إلى ستراتفورد في الصباح ؟»

«هل تشعرين بالتعب ؟»

فهزت فاي رأسها بالايجاب.

فقال لو :

«نحن قريبان من تايم فيمكنني أن أتركك في أحد فنادقها ثم أذهب بمفردي.»

«انتظر حتى الصباح يا لو !»

«أحب أن أنهي أموري متى صممت على ذلك. ولن أقبل كلمة لا من ذلك الرجل. سأذهب إليه الليلة. ولك الخيار في أن تبقي هنا أو تذهبي معي. واختارت فاي أن تبقى لأنها شعرت بالتعب من اهتزاز السيارة. وقال لها بعد أن اطمأن عليها وهمّ بالذهاب :

«انتظري رجوعي باكراً وقت الغداء. ولن أنسى أني تركتك هنا.»

«حسناً ألا تقبلني ؟»

«وهل تريدين ذلك ؟»

ولما نظرت في عينيه تأكدت أنه برغم أن مسألة بروستر كانت تشغل باله. إلا أنه لم ينس ظهور جيري فجأة في ستراتفورد . ولم

يزل يشك في ملابساته.

«طبعاً أريدك أن تقبلني.»

فضحك وجذبها إليه وأخذها بين ذراعيه، فتعلقت بعنقه. ثم قال لها:

«إنك تقبلينني وكأنني ذاهب إلى الحرب.»

وكان لو يمزح لكنه شعر بالتأثير نفسه.

«نعم، وإني أتساءل عن السبب.»

وكانت تود أن تقول له: لا تذهبْ يا لو ... أرجوك ألا تتركني لكنها تمالكت نفسها ولم تقلها. وفجأة قال لها:

«هل أنت بخير يا طفلتي؟»

وذلك لأنه لاحظ شحوبها وضعفها واستغرب لذلك، فقد أمضيا ثلاثة أسابيع هادئة في انكلترا. وعاود سؤاله:

«هل أنت على ما يرام؟»

«أشعر بالتعب فقط.»

«إذن اذهبي إلى الفراش في وقت مبكر يا حبيبتي.»

ثم داعب ذقنها ومضى.

اغتسلت فاي، ورتبت هندامها ثم نزلت إلى العشاء، الذي تناولته بمفردها. وشعر صاحب الفندق بالحرج لأنها تتناول العشاء وحيدة في المطعم فقال:

«هذا الوقت من السنة ما زال مبكرا لحضور الزائرين.»

فابتسمت فاي وقالت له:

«لا تقلق لذلك، فأنا سعيدة بوحدتي.»

«إن الشاب الأميركي اسمه مستر كوفمان؟»

وقبل أن يجيبها الرجل بالايجاب عرفت أن نزيل الفندق هو جيري كوفمان نفسه. من الغريب أن يختار جيري الفندق نفسه الذي تنزل فيه فاي!

«هل تعرفين الشاب يا سيدتي؟»

«نعم، فنحن صديقان من زمن بعيد.»

وبعد أن تناولت فاي العشاء جلست تقرأ المجلات على أريكة من الجلد بجانب المدفأة الكبيرة، وكانت منهمكة في قراءة مقال القلاع الانكليزية القديمة عندما فتح الباب فجأة، ودخل منه رجل يصفر بمرح، ولكن صفيره توقف فجأة، للدهشة البالغة التي ظهرت على وجهه. ونظرت فاي إليه باسمة وهي تمعن في وجهه البالغ الدهشة وقالت:

«نعم يا جيري ... إنني هنا.»

ثم سألها وهو يعبر الغرفة ويتجه إليها ويتلفت باحثاً عن لو، وكأنه يبحث عنه وراء المقاعد الكبيرة، أو الستائر المنقوشة بالأزهار الزاهية:

«أين لو؟»

«لو أوصلني إلى هنا ورجع ثانية إلى ستراتفورد.»

«وماذا يشغله في ستراتفورد؟»

«يريد التعاقد مع رالف بروستر، وهو يبدي التمنع ويتمسك بالعناد. وأنت تعرف لو جيداً، فلن يهدأ له بال إلا إذا نال غرضه.»

«هذا صحيح. والآن ما رأيك في عصير البندورة؟»

«هذا يروق لي كثيراً.»

فأحضر لها جيري العصير، أما هو فراح يتناول الشراب، وجلس بجوارها على الأريكة، ثم أخذ ينظر إليها معجباً، فقالت له وقد بدا

عليها الخجل :

«ماذا أتى بك إلى هنا يا جيري ؟»

«توقفت سيارتي فلعنت حظي العاثر لذلك، ولكني الآن أحمد الله لذلك العطل، ولو أني متأكد أن لو يشاركني الرأي في ذلك.»

«إذا كنت ستذكر لو بالسوء فلن أبقى هنا لأتحدث معك.»

«الأحسن أن نتحدث عنك بدلاً عنه. لماذا تغيرت ولم تعودي تلك الفتاة النحيلة التي كنت أعرفها ؟»

وفاجأها هذا السؤال فاحمرّ وجهها. فلو لم يلاحظ أي تغيير ولكن جيري ، إذ لم يرها لأسابيع مضت، لاحظه. ولم يتورع عن أن يسألها هذا السؤال الصريح.

وبالتدريج أخذ يفهم معنى احمرار وجهها، وبان في عينيه أنه عرف سرها. وقال :

«فهمت.»

ثم أردف يقول :

« لو رجل محظوظ فهل هو سعيد بأبوته المرتقبة ؟»

وقال ذلك بسخرية فردت عليه فاي تقول :

«إنه لا يعلم بعد.»

«وهل تحتفظين له بالخبر إلى يوم عيد ميلاده ؟»

أشاحت بوجهها قليلاً. فأخذ ذقنها بيده وأمال وجهها إليه وسألها

«ماذا هناك يا صغيرتي ؟ ألا تسير الأمور بينكما على ما يرام ؟»

«هل كنت تعرف إينز هولدن يا جيري ؟»

فهز رأسه بالايجاب وترك ذقنها وقال

«نعم كنت أعرف إينز هولدن . ولكن لماذا هذا السؤال ؟»

فأدارت كأس الشراب بيدها وهي متوترة وقالت

«كثيرا ما أتساءل إذا كان لو مازال يفكر فيها.»

ظهرت الحدة على وجه جيري وقال

«أتقصدين أنها ما زالت تقلق ضميره ؟ لابد أنه يعاني من ذلك ؟»

فأمسكت فاي بذراع جيري وقالت له :

«قص عليّ كل شيء، يا جيري. لا بد أن أعرف ماذا فعل لو بها حتى أقدمت على تلك الفعلة الشنيعة.»

«هل تقصدين انتحارها ؟»

فهزت رأسها واتسعت عيناها وركزتهما على وجه جيري .

ترك جيري شرابه جانباً، وقام فجأة وأخذ يروح ويجيء أمام المدفأة ويقول :

«لا يهمني لو مارش ولكني أهتم بك، يا فاي . فأقول لك ما أحجمت عن قوله منذ ثلاث سنوات عندما صدر الحكم بأن إينز هولدن انتحرت. ولكن إينز في الحقيقة لم تنتحر.

فسألته فاي وهي تنظر إليه بدهشة :

«وكيف علمت ذلك ؟»

«كنت معها ذلك اليوم.»

ثم أخرج علبة سكائر من جيبه وقدم واحدة إلى فاي . لكنها رفضتها وراحت تراقبه وهو يشعل سيكارته. فرأت يديه ترتجفان ثم أخذ يدخن سيكارته ويقول :

«كنت صديقاً لاينز قبل أن تتعرفَ بلو . لم أكن أحبها كنت معجباً بها، ثم تعرفت إينز على لو في حفل، وسرعان ما خطبها. وكان يتعجل الزواج بها ولكنها كانت تريد أولاً أن تبني لنفسها اسماً في عالم السينما.»

ثم هز جيري كتفيه ونفث دخان سيكارته وعاد يقول :

«لكن العقبة كانت أنها لا تجيد التمثيل برغم جمالها الصارخ. وكان لو مفتوناً بها. فأوعز إلى ك. ك. أن يبرم معها عقداً يتيح لها تمثيل دور في فيلم كان يخرجه وقتئذ. ولكن عندما وضعت إينز قدميها في الفيلم اختل كل شيء. فالممثلة الأولى جاني ستريتر أصيبت بوباء، وكان لا بد من تغييرها. ثم شب حريق في بعض الأفلام الخام وفي إحدى غرف آلات العرض. كذلك في بعض المناظر المكلفة. وتدخل لو لحماية إينز عندما صمم ك. ك. المنتظر أن يطردها من الفيلم وتلا ذلك أن أضرب كاسي أندرسون ، الممثل الأول، عن العمل. وأخبر لو أنه سوف يستمرّ في الامتناع عن التمثيل إذا لم يمتثل لأوامر طردها. ولكن كاسي لم يكن يريد تنحية إينز لرداءة تمثيلها، بل لأنها كانت تكرهه وتكره محاولاته مغازلتها، وقد واجهته بذلك أمام جميع ممثلي الفيلم وممثلاته. لكن لو كان يعلم مقدار أهمية كاسي للفيلم من جهة نجاح الشباك والايراد».

ولذلك أفهم لو إينز أنها لا تعدو أن تكون مجرد دمية، وأنه يأمرها بأن تترك العمل حتى يبقى كاسي وكان لو غليظاً معها لأنه لا يعرف أنصاف الحلول. وأعتقد أنه كان قد ملّ إينز وهي تتلف منظراً تلو منظر من الفيلم بتمثيلها الرديء. فأخبرها أنه ما كان ليتحملها حتى ذلك الوقت لولا أنها تلبس خاتم خطوبتها في أصبعها فما كان منها إلا أن ألقت بالخاتم في وجهه، فداسه لو بقدمه وفتته».

ثم أشعل جيري سيكارة أخرى وأكمل يقول

«سمعت عن ذلك النزاع من إينز نفسها عندما تقابلنا مساء اليوم نفسه في أحد المقاهي. وكانت إينز تشرب بشراهة فلم أحاول منعها. فقد كانت بحاجة إلى الشراب. أحيانا عندما تقسو الحياة بنا قد نجد السلوى في الشراب. وعندما خرجنا كانت في حالة عدم مبالاة. وذهبنا

بعد ذلك إلى الرقص. وقد خيل إليّ أنني وقعت في حبها. فلما اقترحت عليّ أن أذهب معها إلى شقتها فعلت.»

وابتسم جيري لفاي وقال :

«كانت جميلة جداً وكانت فتاة لو الذي أكرهه. ربما لأن كل شيء يأتيه بسهولة ويسر ولم يجاهد كما جاهدت في سبيل الوصول إلى القمة. وربما كرهته لأنه لا يراعي شعور الغير. واستمر الحال كذلك لأكثر من أسبوع واعتقدت أنها رجعت إلى صوابها. وعند خروجنا من السينما ذات مساء قالت لي إينز إنها ستذهب إلى لو وتطلب منه إعادة علاقتهما، فالحياة كالجحيم بدونه. فأوصلتها إلى منزله وانتظرتها في السيارة. وكنت أعلم أنها منساقة إلى طريق مسدود، وأن كرامة لو المتعالي لن تغفر لها انزلاقها. وكنت على حق. إينز خرجت باكية من كريستال كورت ، وهي تعدو خارج منزل لو. كنت أنتظرها على الجانب الآخر من الطريق في سيارتي فرأيت ما حدث بالضبط : نزلت من الرصيف في طريقها إليّ لتلقى حتفها تحت سيارة النقل. وفي التحقيق اعترف لو بأنه طردها من شقته. وقال السائق إنها ألقت بنفسها تحت سيارته. ولم أكن في حال تمكنني أن أنقض تلك الأقوال فأيدتها».

قالت فاي بهدوء :

«وأذيع أنه حادث انتحار ؛ ولكن لماذا فعلت ذلك بلو يا جيري ؟»

فهز جيري رأسه وقال :

«لأنها قصدته بحبها وبكرامتها الجريحة. ولكنه ألقاها في وجهها الجميل.»

فارتجفت فاي وتشنجت يداها وقالت :

«إن للو كرامته.»

«بل إنه قاس دائماً. ماذا يجعلك تحبينه يا فاي ؟ ماذا ترين فيه وهو رجل مجرد من العاطفة والتفاهم ؟»

«لا أدري ـ لا أدري.»

ثم قال لها بهدوء يكاد يكون خضوعاً :

«أنا أمتلك الصفتين. وها أنا أرحب بك إذا أتيت إليّ الآن.»

«ولكني أحمل طفله يا جيري . وأرجوك أن تتركني وحدي.»

فألقى ببقية سيكارته في نار المدفأة الخابية وقال :

«حسناً يا صغيرتي ـ سأذهب الآن. ولكننا سوف نلتقي لأنه مقدر لنا اللقاء.»

ونظرت إلى وجهه وقالت :

«هل هذا حقيقي يا جيري ؟»

وراحت تتطلع إلى وجهه وكأنها تدخر كل قسماته في ذاكرتها. عيناه اللوزيتان، وفمه الساخر، وشعره الأسود المجعد الذي يغطي جبهته. ثم قالت :

«شكراً لك يا جيري .»

«أنا أعطيك الدنيا كلها. إذا طلبت مني ذلك...

...وها أنا سأرحل في الصباح الباكر. فالوداع يا فاي .»

«الوداع يا جيري .»

ثم قامت إلى فراشها. لكن قدمها تعثرت بشيء. لم يكن سوى علبة سكاير جيري الذهبية. فحملتها معها وهي لا تذكر انه سيغادر الفندق باكراً في الصباح.

٦ ـ في القطار المشؤوم

استيقظت فاي صباح اليوم التالي على صوت فنجان الشاي يهتز بيد زوجة صاحب الفندق البدينة. وحاولت أن تبتسم للمرأة التي راحت تبادلها الابتسامة ولكن فاي شعرت بتوعك شديد وسمعت المرأة تقول :

«ماذا تطلبين لافطارك ؟ سمكاً وبيضاً ؟ أم لحماً ومعه بيض ؟»

وراحت فاي ترتجف لسماعها كلمة سمك، وأمكنها أن تقول بصعوبة إنها تطلب خبزاً مقدداً. توست ... فقط لافطارها.

وهال المرأة ذلك فقالت :

«خبزاً مقدداً ؟ ولكنه غير مشبع يا عزيزتي. هل أنت متأكدة من ذلك ؟»

فهزت فاي رأسها :

«وهل ترغبين في بعض المربى معه ؟»

لا، خبز مقدد فقط»

وخرجت المرأة فتنهدت فاي ارتياحاً، ووضعت فنجان الشاي على المنضدة قرب الفراش، واتكأت على الوسائد وراحت تحدق في السقف وتقاوم الغثيان الذي انتابها. وكادت تبكي من شدة المرض ومن بعد لو ، إذا كانت تحن إلى ذراعيه تضمانها. ومرت الدقائق وهي تجاهد

لتجد القوة والشجاعة وفجأة أزاحت الغطاء وتركت الفراش لكنهـ شعرت بدوار وكادت ساقاها أن تنثنيا، وشعرت بخوف أسال العرق البارد في ظهرها وصدرها.

وذهبت إلى المنضدة حيث وضعت المرأة الماء الساخن فاغتسلت وارتدت ملابسها ومشطت شعرها ووضعت البودرة على وجهها وقليلاً من الأحمر على شفتيها بيد ترتجف، وعندما فتحت باب الغرفة وخرجت منه شمت رائحة الشراب من الطابق الأول، فأصابها الغثيان وأمسكت بالباب تحاول التغلب على ضعفها حتى يمكنها النزول. وفي تلك اللحظة صعدت زوجة صاحب الفندق التي صاحت تقول :

«إنك لست بخير يا عزيزتي.»

وأخذت بيدها وأعانتها على الرجوع إلى الفراش وقالت لها :

«هل أطلب زوجك تليفونياً ؟»

«أظنه في طريقه إلي. وسأكون بخير بعد برهة.»

ووقفت المرأة على سر[illegible] فاي فقالت لها :

«هذا الشعور يأتي دائماً في الصباح. فاستريحي وسوف أحضر إليك الافطار.»

«إنك طيبة القلب.»

ثم أكلت قطعة صغيرة من الخبز المقدد وخلعت حذاءها وتدثرت بالغطاء، وراحت في نعاس قلق.

ولما استيقظت وجدت أمامها لو بوجهه الأسمر فابتسمت له وقالت :

«هل هذا هو موعد الغداء، أم أنك أتيت مبكراً ؟»

«لقد أتيت مبكراً. قابلت صاحبة الفندق في البار وأخبرتني أنك لست بخير، ثم لمحت لي بابتسامة وغمزة عين. فهل علي أن أخمن الباقي ؟»

«ماذا يغضبك يا لو ؟»

«لنفرض أن [illegible] من امرأة غريبة ؟»

«تقول. لنفرض أن الطفل طفلك ؟»

وأخذت تحدق فيه ثم رأته ينحني ويلتقط عن المنضدة علبة سكائر جيري وعليها الأحرف الأولى من اسمه فقالت له :

«إنها علبة سكائر جيري.»

«وهل تحمل لك ذكريات عذبة أثناء نومك ؟»

قال ذلك وعيناه تبرقان ولكنها لم تفهم غرضه. وقالت :

«أنا لا أفهم ما تقول يا لو، ماذا بك ؟»

ووضعت يدها على ذراعه ولكنه تخلص منها وقال :

«أسألك عن وجود علبة سكائر كوفمان هنا.»

«سقطت منه ليلة أمس.»

«ماذا ؟»

«تعطلت سيارته فاضطر أن يمضي الليلة هنا.»

«هذا لحسن حظك. وهل نعمتما بهذا الحظ ؟»

فانهمرت الدموع من عينيها... تلك الدموع التي نتجت عن ضعفها وأيضاً عن فرحتها برجوع لو إليها، ثم استبدال تلك الفرحة بالحيرة والعذاب. وهمست تقول :

«هل تدري معنى ما تقول ؟»

وكان رده بأن ألقى علبة السكائر على الفراش بجانبها وهو يقول :

«هذه هي علبتك المسحورة. ربما كفكفت دموعك.»

ارتجفت بشدة لقسوة لو، فهل هي تحبه حقاً وعواطفه بعيدة عنها وكرامته تجرح إذا تخيل رجلاً آخر ادعى الحق بأن ينظر إلى دميته الرقيقة ؟ انه لا يحبها بل يستعرض غيرته العمياء.

وفجأة شعرت بالتعب من لو ومن كل شيء، فقالت :

«ظن بي كما شئت يا لو.»

وحاولت مغادرة الفراش فسقطت في هوة سحيقة من الظلام، وشعرت أن يدين قويتين حملتاها ولكن كل شيء اختفى ومات في السكون وبعد ظهر اليوم نفسه فقدت فاي جنينها في مستشفى ريفي خارج تايم . وبقي لو في غرفة الانتظار يعاني عذاباً لم يشعر به من قبل، ويلعن نفسه ويلعن طبعه الحاد الذي جعله يؤلم فاي ويرمي في وجهها التهم. وسقط على أحد المقاعد متسائلاً : لماذا لا يخرج الطبيب ويطمئنه بأن فاي بخير. وانتابه الخوف وهو يتذكر فاي عندما سقطت بين ذراعيه وظنها ماتت لأن الدم هرب من وجهها وأطرافها تثلجت وراحت في غيبوبة.

وخيل إليه أن ساعات انقضت قبل أن يدخل عليه الطبيب ويخبره أن فاي فقدت جنينها وأنها نائمة، وعليه أن يذهب ويعود في الصباح.

«وهل هي بخير؟ يمكنني المبيت هنا اذا كان هناك أي خطر يحيق بها.»

«كلا الاجهاض ليس سهلاً ولكنه ليس مميتاً. وسوف تجد زوجتك بخير في الصباح. ونصيحتي لك أن تأكل جيداً وتنام جيداً وتدع القلق جانباً.»

ولكن لو لم يدع القلق جانباً، وكان ما زال قلقاً عندما زارها في اليوم التالي.وقادته الممرضة الشابة إلى غرفتها وقالت له :

«الزيارة لا تتعدى خمس عشرة دقيقة.»

تقدم لو إلى السرير فوجد فاي ترقد بهدوء فقال :

«يؤسفني فقد الطفل يا عزيزتي.»

فراحت تراقبه بسمرته وقامته الطويلة. وعجبت لسكون قلبها على غير عادته إذ كانت تتلاحق دقاته عندما تراه وترقص الفرحة في عينيها. وعجبت لشعورها الميت وكأن عواطفها انسحبت منها. وماتت مع جنينها. ثم ردت تقول :

«ولماذا الأسف. إنه طفلي والله وحده يعلم كيف أتى. ولكنه قطعاً لم يأت بالطريقة التي لمحت إليها أمس.»

«أنا أحتقر نفسي أكثر من احتقارك إياي. وألوم نفسي على كل ما قلته لك امس.»

«ليتني كنت قادرة على احتقارك يا لو فذلك كان أهون من عدم شعوري بأي شيء تجاهك.»

«ماذا تعنين بقولك هذا؟.»

«إني أنظر إليك ولكنني لا أشعر بشيء.»

ثم أتى إليها وجلس بجوارها، وأخذ يدها بين يديه، وقال :

«لا ألومك لكل هذه المرارة يا فاي . من طبعي الغيرة العمياء. وأنا واثق أن رصاصة في القلب ما كانت لتؤلمني أكثر مما آلمني قولك أنك لم تعودي تحبينني.»

«ولكن ما هو الحب يا لو ؟ إنه هبة ريح يولد في لحظة ثم يختفي. كنت على حق عندما قلت ذلك. ولقد أحببتك لحظة رأيتك ولكنني توقفت عن حبك في يوم واحد.»

« فاي ... إني لا أريد أن أفقدك يا صغيرتي.»

وتعجبت أنها لم تتأثر بكلامه. كانت قبلاً تصلي وتتمنى أن تسمع مثل هذه الكلمات منه. والآن. وقد قالها. فلم تشعر بشيء من الفرحة أو السعادة. وسمعته يقول :

«لن أدع كوفهان يتسبب في القطيعة بيننا.»

«إنه شيء بعيد عن جيري . برغم أنه قال يوماً إنك سحرتني. والآن وقد بطل ذلك السحر أصبحت حرة وأريد أن أبقى حرة.»

وطفرت الدموع من عينيها وأضافت :

«دعني أذهب يا لو .»

«إلى أين يا صغيرتي؟ هل تقصدين أن تتركيني وتذهبين يا حبيبتي؟.»

«نعم اريد ذلك وكان يجب الا اقوم بهذه الرحلة. فقد حذرني الطبيب منها وكنت سأحتفظ بطفلي لو سمعت كلامه.»

وانخرطت في البكاء مما أثم لو الذي قال:

«لا أدري لماذا أخفيت عني الخبر. كان لابد من إخباري.»

«لأني كنت متأكدة أنك لا تريد الطفل.»

وآلم هذا الرد لو فقال لها:

«أشكرك لأن حكمك عليّ ما زال سيئاً يا فاي.»

وكانت كلماته بلغة الداعبة ليخفف عنها، وكانت كفيلة بأن تندم على كلامها لو انها سمعتها بالأمس ولكنها اليوم لا تحبه

وجاءت الممرضة الشابة لترى دموع فاي فقالت للو:

«يحسن بك أن تذهب الان يا سيد مارش. فما زالت زوجتك ضعيفة ولا بد أن تستريح.»

وكانت الحقائق التي ذكرتها فاي قد آلمته. لكن نظرتها إليه وكأنها تنظر إلى شخص غريب آلمته أكثر. وفهم المرارة التي تشعر بها ولكنه لا يقبل عدم اهتمامها به. ثم مال عليها ولثم خدها برقة وقال:

«سنتحدث في كل شيء غداً عندما تشعرين بالتحسن.»

ولكنّ عينيها نظرتا إليه من خلال دموعها... نظرات خاوية كعيني طفل ضال.

وفي اليوم التالي وجدها هادئة، بل إنها ابتسمت له ابتسامة خفيفة فقال:

«استمعي إليّ جيداً. قبل بروستر أن يمثل معنا وسوف نبدأ بانتاج الفيلم وسنصوّر المناظر الخارجية في أسبانيا. فهل ترغبين في الذهاب معنا؟

وهزت رأسها بالرفض فانفجر يقول:

«أنا لا أفهمك. أسبانيا بلد جميل فيه إثارة وخيال وسوف تستمتعين

بوجودك هناك ولا أرى سبباً لبقائك وحدك في انكلترا.»

«ولكني راجعة إلى عملي كممرضة.»

«وهل هذا الاستعراض الصبياني لأني قلت لك كلاماً في لحظة غضب لقد اعتذرت عن ذلك، فهل تحبين أن أجثو لك قبل أن تقبلي اعتذاري؟»

وكانت فاي قد تحسنت واختفت معالم الارهاق التي بدت عليها، وبان لون الدم في وجهها. وبدت هادئة واثقة مما تقول:

«لا يا لو. أنا لا ألجأ إلى طرق صبيانية. بل استعدت كرامتي ولن أكون دميتك المدللة بعد الآن. ولن آتيك راكعة عندما تشير إلي بأصبعك ولن أذهب معك الى أسبانيا.»

«وهل تنوين حقاً الرجوع إلى حياتك الماضية؟»

وهزت رأسها وهي تقول:

«كنت أشعر أنني راجعة إليها يوماً ما.»

ثم خلعت خاتمه من أصبعها وأمسكت بيده ووضعت الخاتم في كفه وأطبقت أصابعه على البريق الثمين الذي أصبح لا معنى له

وحرصت ألاّ تطل نشوة الانتصار من عينيها، ولكنها كانت تسري في دمائها بعد أن أزاحت لو من قلبها وأغلقت دونه أبوابه، واستعادت كرامتها وثقتها بنفسها، وتحررت من عبوديتها. فقال لها:

«ألا تخشين أن أرغمك على الذهاب معي إلى أسبانيا؟ فأنت ما زلت زوجتي.»

«إنني زوجتك ولكني لست كلبة عندك. ولن تجرؤ أن تجذبني من شعري.»

«إذن لي طريقة أخرى.»

ثم مال عليها... ولكنها لم تتأثر بل شعرت أنه شخص غريب. ورأت في عينيه هزة سببها عدم تقبلها فقال:

«يبدو أنني لست محظوظاً في انتقاء النساء.»

«يبدو كذلك يا لو . ويبدو أن إيتز هولدن لم تمت منتحرة. هل عرفت ذلك ؟»

«نعم عرفت. كانت من الأنانية بحيث تضن على جمالها أن تحطمه عربة نقل.»

ووقف وألقى الخاتم في جيبه وقال :

«حسناً يا فاي إذا أردت أن أختفي من حياتك فسأفعل.»

وذهب لو إلى أسبانيا بمفرده...

ورأته فاي يذهب بدون أن تتأثر. لم تعد تبكي حتى لفقد طفلها الذي ضحت به من أجل لو . وتحررت من الماضي ومن كل مؤثراته حيث امتزج الألم بالنشوة، وتلاقى الكره بالحب

واستأجر لو لها مسكناً في لندن لتقضي فترة النقاهة. فقضت أيامها يشغلها القليل من رياضة المشي والقليل من القراءة وكتابة الرسائل. كتبت إلى الدكتور فورستر تبلغه أنها فقدت جنينها. وكان فورستر ودوداً متفاهماً. كتبت إليه لأنها أرادت أن تتحدث إلى صديق. كما اخبرته أنها عزمت على الرجوع إلى مهنة التمريض، فرد يقترح عليها العمل في المستشفى أنيتاهيل . وهو المستشفى الذي مات فيه بيل . ويشجعها على أن تتغلب على مشكلتها الشخصية. وألا تحجم عن الذهاب إلى هوليوود للعمل هناك. ونصحها أن تبحث داخل قلبها لتتأكد أنها لا تضحي بشيء، تحتاج إليه فيما بعد.

انتابها الأرق تلك الليلة. وأخذت تتساءل إذا كان ماكس فورستر على حق. وتفكر في المستشفى بأبنيته البيضاء وأشجار البرتقال التي تملأ حدائقه المعتنى بها، ومنزل الممرضات الذي بني على أحدث طراز ولا يبعد عن المستشفى سوى عشر دقائق سيراً

على الأقدام.

وعادت فاي إلى هوليوود وتدخل ماكس بنفوذه ليجد لها مكاناً في مستشفى أنيتاهيل . كانت فاي على كفاءة عالية في التمريض، وسرعان ما اندمجت في عملها. ومرت الأيام بسرعة تليها الأسابيع، وكانت تنوي أن تكتب إلى لو لكنها لم تفعل. فما أهمية ذلك ؟

ولم تندمج فاي في الحياة الاجتماعية في المستشفى ولم تلب دعوات الأطباء الشبان الذين حاولوا التقرب منها، وذلك لوضعها كامرأة متزوجة تعيش بعيدة عن زوجها. وعاشت وحيدة تمارس رياضة المشي الطويل وتزور أحياناً ميمي فورستر زوجة الدكتور فورستر .

ومرّ شهرا أيار/مايو وحزيران/يونيو. وبحلول شهر تموز /يوليو ارتفعت الرطوبة في الجو، واشتد الحرّ، وهطلت الأمطار كأمطار البلاد الاستوائية، واجتاحت المدينة موجة من وباء الأنفلونزا ملأت المستشفى بالمرضى، فلم يدع لها العمل المتواصل الوقت كي تفكر في الماضي، أو تحاسب قلبها الذي كاد لو أن يحطمه. وذات يوم نظرت إلى مفكرة الحائط فدهشت لحلول شهر آب/أغسطس، وسمعت زميلة لها تقول :

«هذا العام مرّ سريعاً. كنت مع صديقي في مثل هذا الوقت من العام الماضي نقضي إجازة في هونولولو استمتعنا كثيراً بها. فهل تتذكرين إجازتك أيضا ؟»

«لم أكن في إجازة، بل كنت أمرض سيدة عجوزاً في كازا روش اسمها السيدة لورا مارش . وكانت سيدة مهيبة سريعة الغضب»

«هل تقولين السيدة مارش من كازا روش ؟ هذا عجيب.»

ثم أخذت صحيفة عن المنضدة وقلبت صفحاتها وأعطتها لفاي لتقرأ.

وقرأت فاي خبر وفاة السيدة مارش بنوبة قلبية، والاشارة ان من اكتشف موتها هي ديللا . تلك الفتاة التي كانت تعتمد على جدتها. وبسرعة قصدت فاي غرفة رئيستها التي قالت لها :

«تطلبين إجازة ونحن مثقلون بالعمل ؟».

«أطلب ثلاثة أو أربعة أيام فقط لأمر هام».

وبعد تفكير صرحت لها الرئيسة باجازة مدتها أربعة أيام.

صرفت فاي التاكسي الذي أوصلها إلى لوريل باي . وارتقت الدرج وهمت أن تقرع الجرس عندما فتح الباب فجأة، ورأت أمامها ويل برونسون زوج ديللا . الذي قال لها :

«رأيتك من النافذة وإنه لكرم منك أن تحضري. لو هنا، فقد أتى هذا الصباح».

« لو ! لم أتوقع أن يكون قد عاد إلى أميركا من أسبانيا».

وقبل دخولها غرفة الاستقبال قال لها ويل :

«اسمعي يا فاي . إذا كنتما على خلاف فلا تخبري ديللا بذلك. فلو لم يشر لها بشيء، ولما سألته عنك قال لها إنك تعانين من نزلة برد منعتك من الحضور. أما ديللا فهي ليست على ما يرام لأنها تنتظر مولوداً، بالاضافة إلى صدمة وفاة جدتها».

«مولود! إنه شيء عظيم».

« ديللا تريد صبياً، أما أنا فأتقبل ما يرزق به الله».

«وهل ديللا سعيدة بالمولود المنتظر ؟».

«كانت سعيدة حقاً إلى أن حدثت وفاة السيدة مارش . فقد كانتا متعلقتين بعضهما ببعض».

وفتح باب الغرفة وتقدمته فاي فرأت كل شيء على حاله لم يتغير وشعرت بلو وهو يراقبها ويقف ويقول :

« فاي !»

ثم ركعت فاي بجانب ديللا واحتضنتها، فقالت ديللا وهي تبكي على كتف فاي :

«أنا سعيدة بحضورك يا فاي . وجدتها ميتة على كرسيها، وظننت لأول وهلة أنها نائمة ... كنت أحبها كثيراً».

وظلّ لو واقفاً، ومدّ يده إلى جيبه وأخرج سيكارا أشعله وراح ينفث الدخان الأزرق وينظر من خلاله إلى فاي

وتمّت مراسم الجنازة في اليوم التالي وكانت ديللا هادئة لكنها فقدت هدوءها عندما قرأت الوصية بعد ذلك. وفيها أعلنت السيدة مارش أنها تركت كل ما تملك إلى ديللا . بما فيها هذا المنزل. أما لو فلم تشر إليه في الوصية ابداً، وصاحت ديللا تقول للمحامي ووجهها محتقن :

«هذا ليس عدلاً. لابد أن أتقاسم الميراث مع لو . فلست راغبة في كل التركة».

فقام لو واحتضن ديللا وهو يقول للمحامي :

«أنا موافق على الوصية، راض بها، فلم أتوقع أن تشملني أبداً. وهي عادلة. فلقد كنت يا ديللا الشمس التي تضيء حياة جدتنا، بينما كنت أنا الصبي الشقي، ولذلك تركت لك كل متاعها الدنيوي. فأطيعي رغبتها واملأي لوريل باي بنصف دستة من الأطفال».

ولم تنس ديللا موضوع الوصية، فتحدثت عنها مع فاي وهما تتمشيان في طرقات الحديقة وتقول :

«إن لو لا يهتم بالجانب المادي ولكن جدتي المته باخراجه من الوصية، فهي لم تحبه أبداً. وكانت ديللا تمسك بيد فاي وفجأة قالت لها :

«أين خاتم زواجك ؟».

اضطربت فاي في الاجابة فاستطردت ديللا تقول :

«لا داعي للاجابة ولا داعي للتفسير.»

«كان يجب ألا أتزوج لو ، ولكني كنت مختالة لطلبه الزواج مني.»

«والآن ، بماذا تشعرين ؟»

«لا أشعر بشيء، فالسحر قد زال ولذا صرت أفكر في لو باتزان بعد أن كان الشمس المشرقة على حياتي، والسحر الخارق الذي يشدني إليه والآن أصبحت أحدق في لا شيء.»

فقالت ديللا :

«إنه لشيء محزن.»

فقالت فاي :

«لا تقلقي علينا يا ديللا . فالأحسن بنا أن نفترق.»

«ولكن ما السبب ؟»

«لأن الزواج يا عزيزتي، مثل البيت. لا يمكنه أن يقوم على حائط واحد. ولقد حاولت لمدة سبعة أشهر أن أقوم هذا الزواج ولكن الانهيار المحتوم وقع في النهاية، وليست لدي النية لاعادة البناء على الأنقاض.»

«وهل طلب منك لو إعادة البناء ؟»

«لا أريده أن يطلب مني ذلك. والآن هل أنت سعيدة مع ويل ؟»

«نعم إنه طيّب معي وصبور.»

«سوف يكون نعم الأب.»

«ومثله لو ... أقصد أن الرجال الذين لم يكونوا سعداء في طفولتهم يجاهدون كي يكون أطفالهم سعداء.»

«ألم يكن لو سعيداً في صباه.»

ورأته فاي في خيالها صبياً يافعاً طويل القامة متعالياً، ينغمس في الشرّ وهو يضحك تماماً كوالدته الجميلة. ولذلك لم تشعر جدته بأي حنان نحوه. ثم قالت ديللا :

«كان لو لا يحكمه شيء، ولم تفهمه جدتي، وأحبتني لأنني كنت

صغيرة أطيعها وأتبع ارشاداتها. ومن الغريب أن لو كان يعبد والدتنا.»

ففتحت فاي عينيها دهشة وقالت :

«لم أكن أعلم ذلك، وكنت أظن أنه يكرهها.»

«لقد كرهها بعد أن تزوجت وتركتنا. وكان في الثانية عشرة من عمره. وكصبي في سنه تألم من هذا التصرف الذي قتل فيه كل ثقة بالنساء. وأنا متأكدة أنه تسبب في ألمك، وإلا ما رغبت في الخلاص منه. ولكن لا تكرهيه يا فاي.»

«ولكني لا أكرهه.»

وأثناء العشاء في تلك الليلة قال لو لفاي :

«أخبرتني ديللا أنك ستعودين إلى المستشفى يوم الخميس المقبل. وبما أن لدي بعض المهام في هوليوود فلماذا لا نسافر معاً ؟»

وقبل أن ترد عليه صاحت ديللا تقول :

«ودّعي مستشفاك يا فاي وابقي هنا دائماً.»

وضحكت فاي ولم تجد أي مانع من السفر معه. ولكنها شعرت بالحرج لأن وجودها في القطار سوف يترتب عليه محادثات شخصية. ولكنها كانت قادرة على مواجهة هذا الموقف. فلم يعد لو يخيفها بل وجدته تغيرّ قليلاً، فقد تقبل الوضع بأنها لم تعد ملكه. ولذا لم يعد ينظر إليها من عليائه.

ثم قالت فاي :

«إنني أحب العمل في مستشفى أنيتا هيل .»

ثم وجهت الكلام إلى لو وقالت :

«هل أنت متأكد أنك ستسافر يوم الخميس وأني لا أستعجلك بالسفر ؟»

«يا إلهي ... كلا ... ديللا سيسعدها سفري.»

ردت ديللا :

«هذا ليس من الحقيقة في شيء، وأود أن تبقى دائماً هنا لولا أنك ستكون ذا تأثير سيء على ويل .»

وكان ويل يقدم إليها البندق البرازيلي ويقول :

«كلي البندق ولا توجهي إليّ الاتهام. كانت لي مغامراتي قبل أن أتزوجك.»

فردّت ديللا تقول :

«لست أدري ماذا أفعل، إذا أنجبت طفلاً ذا شعر أحمر. وإذا حدث فسوف أعطيه لك يا فاي ، لأنك مولعة بكل الأطفال.»

ردت فاي :

«هذا صحيح ولكن قد يولد طفلك أصلع ككرة البلياردو !»

عندما تركت فاي منزل الأسرة مع لو كان الضباب الخفيف يخيّم على المنزل، ثم ازداد كثافة عند وصولها إلى المحطة فنظر لو في ساعته وقال :

«إن هذا الضباب يؤخر وصول القطار.»

«هل أنت مرتبط بمواعيد في هوليوود ؟»

«إنها مواعيد غير عاجلة لاستشارات أولية لعرض فيلم لوكريس في أوروبا.»

« لوكريس ؟»

« كارل لاحظ أن عنوان الفيلم لا يليق ولذلك اختصره إلى لوكريس .»

«هل هو فيلم جيّد يا لو ؟»

«أظن ذلك، لأن المناظر الخارجية رائعة كان سيروق لك رؤيتها في طليطلة، حيث صوّرنا أجزاء من الفيلم. إنه مكان غريب يحرك الدماء بأسراره الخفية التي تنتمي إلى الماضي، وبمنازله المعلقة النوافذ التي

صنعت من الصخر. وهو مكان لم يتغير من قرون مضت.»

ثم سمعا صوت القطار قادم يهز الأرض، ثم يتوقف بضجة واضحة، وتفتح أبوابه لنزول الركاب وصعودهم.

ودخل لو وفاي المقصورة، وجلست فاي على مقعد في الركن وفجأة سألته :

«ماذا فعلت بعلبة السكائر الخاصة بجيري ؟ كانت غالية ويؤلمني ضياعها.»

وكان لو يرتب الحقائب على الرف، فالتفت إليها بدهشة وقال :

«وهل تقابلتما بعد ذلك ؟»

«لا لم أر جيري بل رأيت فيلماً له منذ مدة.»

وجلس لو وقال لها :

«تركت علبة السكائر مع صاحبة الفندق.»

«كان عراكاً مؤسفاً ذلك الذي حدث بيننا بسبب هذه العلبة.»

وتذكرت فاي ذلك الخلاف الذي حدث بينهما ونتائجه، ثم نظرت من النافذة لترى الضباب وتسمع أبواب القطار تقفل.

ونظرت فاي إلى وجهه الذي كسته السمرة من شمس أسبانيا، ورأت في عينيه عاطفة قوية لم تقو على فهمها. ثم قال لها :

«كنت وحشاً ولك المعذرة لتكرهيني، فلم أنس أنني آلمتك بكلماتي وقتلت طفلك بلساني.»

«لقد انتهى كل شيء، فلا تذكر الطفل.»

«نعم فأنت على حق. والآن كيف حالك في مهنة التمريض ؟ وهل أنت سعيدة في مستشفى أنيتا هيل ؟»

«سعيدة جداً.»

«حسناً. أنا أريد أن تكوني سعيدة.»

وظلت عيناه بوجهها ورآها قصت شعرها فأصبح قصيراً جداً.

وبدت كصبي. لكنها احتفظت بجمالها الأخاذ. ثم سمعته يقول :

«لم أصدق عيني عند دخولك إلى لوريل باي يا عزيزتي. ظننت أنك ما زلت في انكلترا.»

«كنت أود أن أكتب إليك لأخبرك برجوعي إلى هوليوود ولكننا كنا منهمكين في العمل. فقال لو ساخراً :

«أفهم ذلك. فلم تكن كتابة الرسائل إليّ شيئاً هاماً لتجدي له الوقت الكافي.»

«لم يكن هناك ما يقال. قلنا ما فيه الكفاية.»

ثم مال نحوها وسألها بجدية :

«هل تطلبين الطلاق ؟»

«لا. وهل تطلبه أنت ؟»

«أنا أطلب ما تطلبين. فهل نستمر على هذه الحال ؟ كالأغراب.»

«أليس هذا أفضل ؟»

«هل أنت سعيدة حقاً ؟ ألا تشعرين بالوحدة ؟»

«لا فلدي صديقان حميمان هما الدكتور فورستر وزوجته ميمي فلا تقلق علي.»

«أنا لا ألومك. فأنت عاقلة كي تنظفي بيتك من الشوائب.»

فردت تقول :

«لاتقل هذا الكلام. أود أن تعرف أنني لا أكرهك أبداً ... لا أكرهك ... الحب جعلني مخلوقة بغير غطاء يحميني، ولذلك كنت أجرح سريعاً. والحب سلبني كل شي، كالاعتماد على النفس وحماية نفسي، ولكن عندما تحررت من الحب رجع إليّ ذلك الغطاء فلم أعد أتألم. أنا الآن أشعر بالأمان والسعادة. انني آمنة وسعيدة وحرة !»

وخيل إلى لو أن صوت عجلات القطار يردد تلك الكلمات فأراد أن يهرب من سماعها، وعجب من أن فاي ترفض الحب وهي التي

خلقت له. فهب واقفاً وقال لها بخشونة :

«سأخرج إلى الممر لأدخن. أتسمحين ؟»

راح لو يدخن وهو يفكر، وينظر إلى الظلام خارج نافذة الممر فلا يرى إلا الظلام الذي يغلّف تفكيره.

وبعد نصف ساعة، عندما رجع إليها، وجدها ما زالت جالسة في ركنها تنظر من النافذة، ولم تشعر بدخوله عليها فوقف يراقبها وهو يهتز مع حركة القطار.

وفجأة تغيرّت دقات عجلات القطار وعبرته رجفة أحس بها لو تحت العجلات وفوق السقف، ولكنها مرّت كالبرق. وفي تلك اللحظة نظرت فاي إلى لو الذي أحس بالخطر بغريزته، فوثب إليها ماداً ذراعيه وغطاها بجسمه ليحميها لحظة خرج القطار عن القضبان وغمر المكان صراخ ممزوج بصوت تمزق المعادن وتكسر الأخشاب وتفتت الزجاج. وساد الظلام يتخلله عويل الألم والخوف.

ومرّت لحظة الصدمة الأولى، ثم شعرت فاي أنها تجاهد كي تتنفس وتزيح عن صدرها ذلك الثقل الذي يضغط على رئتيها. ولم تتمكن من رؤية شيء ولكنها شعرت بألم في جسدها. وكان يدور في رأسها صوت مذعور يردد: «وقع حادث ....لابد أن أتحرر من هذا الثقل، لا بدّ، لا بدّ».

وأخذت تدفع ذلك الثقل الجاثم عليها وهو يكاد يزهق روحها. وكان هذا الثقل دافئاً وتحسسته فشعرت بقماش سترة لو ... وتذكرته عندما دخل ووثب نحوها عندما تنبه إلى أن القطار كان على وشك الوقوع في كارثة. وظهر في عينيه تصميمه على أن يبلغها قبل حلول الرعب والهول. وقرأت شيئاً في عينيه لم تتمكن من فهمه الآن وهي تكاد لا تقوى على التنفس ... ربما ذلك الذي رأته حلماً لكنها لن تفكر فيه الآن.

وجاهدت بعناء كي تخلص نفسها من ثقل جسم لو . ثم أمكنهاأن تخرج يديها فرفعت لو وخرجت من تحته لتجد نفسها بين أطلال الخشب والزجاج، وراحت تلهث، وشعرت بجفاف حلقها من أثر التراب والدخان. وعندما استعادت أنفاسها تحسست لو ثانية فأمكنها سماع صوت تنفسه.

وودّت فاي لو تبدد الظلام قليلاً لترى مدى إصابة لو . وفجأة اندلعت نار في الخارج لتنير حطام العربة بضوء أحمر متوهج.

وركعت فاي بجانب لو وأزاحت الحطام المتراكم على ظهره، وعندما مست جانبه الأيسر شعرت أن يدها مبتلة، ورأته على ضوء الحريق يستلقي بشكل غريب. وعندما تحسست جانبه الأيسر ثانية زادت المساحة المبتلة التي تنذر بالخطر، ووجدت أن ذراعه ممدودة وكأنها تدرأ الخطر الداهم، ولكنها لاحظت أنها مضغوطة بين فكي قطعة من المعدن الصلب فوق الكوع.

حلّت فاي رباط عنق لو بأصابع متدربة، وأخرجت من جيبه قلمه الفضي ومطواته، ثم قطعت كم سترته وقميصه ونزعتها لتعري ذراعه حتى يمكنها الضغط على مكان النزيف، فسال الدم على يديها من الشرايين المقطوعة وراحت تعمل بيد ثابتة واثقة رغم هلعها.

ثم قطعت جزءا من قميصها حتى تجعل منه ضاغطاً لشريان الذراع الرئيسي ولفت الذراع برباط العنق ماراً بالقطعة الضاغطة، ثم لفت الرباط في نصف عقدة في الجهة الأخرى من الذراع، وأدخلت فيها القلم وأكملت العقدة. ثم راحت تلفّ القلم حتى يضغط الرباط بشدة على القطعة الضاغطة ليوقف نزيف الدم.

وكان الناس يهرولون ويروحون ويجيئون وهم في حالة هستيريا ... يصيحون وينتحبون ويطغى على هذه الأصوات صوت عربات الاسعاف وسيارات الشرطة وأجراس عربات المطافئ. أما فاي فشعرت أنها وحيدة خارج هذه الفوضى على جزيرة نائية من الأسى مع لو . وكان همها أن تأتي بالنجدة له وهي تحمد الله على أن شرايين لو قد كفت عن نزف دمه. ثم عقدت الرباط جيداً بيد ثابتة برغم خفقان قلبها وارتجاف جسمها ... والآن يجب أن تأتي بالطبيب.

وتركت لو وخرجت من النافذة التي تفتت زجاجها، ولم تأبه بالبقايا التي تعلقت بإطار النافذة ومزقت ساقيها ويديها.

كانت النيران تندلع والضباب يملأ المكان و فاي تعدو بين الضباب كشبح صغير، تتحاشى النظر إلى القتلى. ثم لمحت الطبيب بمعطفه الأبيض ينحني على النقالة الموضوعة عبر القضبان فقصدته لاهثة. وكان الطبيب قد فرغ لتوه من إسعاف مصاب. ورأت رجال الاسعاف يحملون النقالة ويمضون بها فأمسكت بذراع الطبيب وقالت له :

«هناك شخص مصاب. أرجو أن تأتي معي.»

وكان وجهها الذي رفعته إليه يدل على القلق والانزعاج، فلم ينبس بكلمة وتبعها. وعندما وصلا إلى حيث رقد لو كانت المصابيح قد عادت تنير القطار بدلا من النيران التي أخمدت. فزحفت فاي من النافذة وتبعها الطبيب وركعا بين أكوام التراب والحطام قرب لو الفاقد وعيه. وراح الطبيب يفحص الرباط الضاغط الذي ربطته فاي وقال لها :

«الرباط لا بأس به، وإنه لمحظوظ لدرايتك في استعمال الأربطة.»

«أنا ممرضة.»

ثم راحت تنظر إلى لو فوجدت كدمات سوداء، وسمعت صوت تنفسه يشهق بصعوبة. وأخذت تراقب الطبيب الباحث عن علامة للحياة في ذراع لو المحتبسة في عنق بين قطع معدنية. ثم قال لها :

«تهشمت الذراع كلها.»

وكان يتكلم وكأن الأمر لا يعنيه برغم أنه لاحظ أن هذا الرجل يساوي الدنيا كلها بالنسبة إليها، لما كان يبدو على وجهها وفي عينيها من قلق. وأكمل يقول :

«لا بد من البتر، فمن العبث أن نخلص ذراعاً مهشمة من تحت الأنقاض، فهل تساعدينني ؟»

وعندما كانت فاي تفكر بعد ذلك فيما حدث كانت تعتبر الهدوء الذي اعتراها هبة من الله. فقد كانت هادئة وكأنها تساعد أحد الجراحين في غرفة العمليات. فالألم الذي شعرت به لم يظهر عليها وأمكنها أن تحبس عذاب القلب والروح بداخلها، ولم تنطق بكلمة وهي ترى ذراع لو تبتر ويصبح لو من ذوي العاهات، وهو الذي كان كامل الجسد وسيم الشكل !

وقام الطبيب بإتمام العملية بمهارة وسرعة، وذهب ليحضر رجال الاسعاف. ورقد لو ساكنا يتنفس بسهولة وعمق بعدما حقنه الطبيب بالمورفين.

وراحت فاي تحتضنه وتتحسس شعره وترفعه عن جبينه المندى بالعرق البارد. وبرغم أن ساقيها توترتا وتمزقتا من الركوع فوق شظايا الخشب والزجاج، وثوبها تلطخ بالدماء، ورأسها أخذ يدق من الضجيج، كانت تود أن تحتضنه إلى الأبد.

عرض نفسه لهذا العذاب من أجلها، فوثب عبر العربة كي يحميها. ورأت في عينيه أنه كان يريد حمايتها أو الموت معها.

ثم جاء رجال الاسعاف ورفعوا لو بعناية ووضعوه على نقالة، ثم أركبوه سيارة الاسعاف حيث أجرى الطبيب الشاب اختباراً لمعرفة فصيلة دمه. وبسرعة بدأت عملية نقل الدم له ثم ابتسم الطبيب لفاي ليطمئنها وقفز من السيارة التي انطلقت إلى إحدى المستشفيات، قرب فارمز كورنز.

٧ ـ ولادة الحقيقة

وقفت سيارة الاسعاف بالباب الخلفي للمستشفى وأتى الرجال ونقلوا لو بعناية وتبعتهم فاي ، ذاهلة. ثم رأت رئيسة الممرضات، ترتدي ملابس زرقاء، وتتقدم وتكلم رجال الاسعاف.

ولكن رد فعل الحادث بدأ يظهر الآن ... فوقفت فاي تتمايل من الضعف والتأثر في غرفة الاستقبال، وتشم رائحة الأدوية النفاذة وتسمع همس أصوات خافتة تصل إلى أذنيها في أمواج متلاحقة. حاولت أن تتغلب على ضعفها وتجمع البقية الباقية من قوتها وعزيمتها لتسير إلى الممرضة التي انحنت على لو تتفحصه ... ها هو لو ... الذي كان يتفجر صحة وحيوية، ويلمع مثل البرق الخاطف يرقد هامداً ساكناً. وراحت فاي تجاهد لتجعل ساقيها تحملانها كي تمر بين المصابين بالصدمات العصبية والذين تمزقت ملابسهم وسالت الدماء على وجوههم، والذين ينتظرون مثلها حكم الأطباء على أشخاص يحبونهم.

ثم وقفت فاي بجانب العربة التي تحمل لو ، تستمع إلى تقرير عاجل من أحد رجال الاسعاف للممرضة عن عملية بتر الذراع. وعرفت منه أن الطبيب اسمه رانسوم... ذلك الطبيب الهادئ، الذي ركع معها في القطار المنكوب وراح يبتر ذراع لو بسرعة وكفاءة، ثم ابتسم لها

ابتسامة خفيفة ليطمئنها عند انتهاء العملية.

وقصدت الممرضة مكتبها والتقطت سماعة التليفون لتتصل بقسم الجراحة وتقول، وهي تنظر إلى فاي بإشفاق بعينيها الرماديتين :

«أرسل إليكم حالة بتر بالذراع الأيسر توا».

ولم يضع أي وقت في وضع الترولل في غرفة ضيقة واستدعاء الطبيب كي يفحصه. بل أخرج الترولل من غرفة الاستقبال فوراً. بينما راحت فاي تملي على الممرضة المعلومات المطلوبة كاسم لو وسنه وعنوانه، وهي تعجب للقوة التي تشعر بها، والتي جعلتها تقف على قدميها.

«ثم أنت بخير ؟ وهل أصبت بأية إصابة في الحادث ؟»

فهزت لها فاي رأسها بالنفي وقالت :

«إنني مضطربة قليلاً وسوف أسترد حالتي الطبيعية فوراً».

«ابحثي عن مقعد لك وسأخبرك عن حاله تباعاً كلما عرفت أخباراً عنه».

«شكرا لك».

وتركت فاي مكتب الممرضة وعبرت الغرفة حيث وجدت مجموعة شاغرة من المقاعد. جلست على احدها وهي تضغط على يديها لتمنعهما من الارتجاف. وراحت تصلي وتقول :

«يا رب احفظ لو ولا تدعه يموت لقد تحمل* الليلة كثيراً. واحفظ له قوته».

ثم سمعت صوتاً يقول لها :

«مرحباً !»

فالتفتت لترى وجهاً نحيلاً جاداً، ونظرت في عيني الدكتور رانسوم الذي وصل لتوه مع إحدى سيارات الاسعاف فحاولت الابتسام له عندما قال :

«لا تقلقي، فهذا الشاب قوي جداً وسوف يجتاز الأزمة».

وكانت فاي ترتعد إذ تذكرت أنها أخبرت لو في القطار قبل الحادث بنصف ساعة أن سعادتها تتحقق بالبعد عنه. ثم عادت تردد :

«إنه زوجي !»

وفجأة اتخذ الطبيب له مقعداً بجانبها وقال وعيناه جادتان :

«أين تمضين ليلتك هذه ؟ هل تمضين الليلة عند شقيقتي ؟ انها تسكن قريباً من هنا، وهي ترحب بذهابك إليها».

«ولكني أرغب في البقاء هنا بجانب لو . فربما مات».

«ولكنه لن يموت».

وأمسك بيديها الباردتين المرتعشتين وضغط عليهما. وسألها قائلاً :

«أين ذهبت شجاعتك الرائعة ؟ أرجو ألا تتهاوي الآن. جاهدت بجانب زوجك بعد الحادث، وعلينا الباقي الآن، لن ندعه يموت».

فردت تقول :

«لا بد أن أبقى إلى أن أطمئن. ولن أذهب قبل ذلك».

«حسناً. وفي أي حال ها هو عنوان شقيقتي».

ثم أخرج ورقة وقلماً من جيبه وكتب لها عنوان شقيقته، وقال :

«أتمنى أن تتمكني من قراءة خطي. واعرفي أن شقيقتي معتادة استقبال غرباء أرسلهم إليها أحياناً، وهي طيبة جداً».

فأمسكت فاي بالورقة التي راحت تهتز لارتعاش يدها وقالت له

«وأنت أيضاً طيب جداً».

ثم أخرج محفظة وأعطاها عشرة دولارات وقال لها :

«ستحتاجين نقوداً للتاكسي ولن يضيرك إذا أخذت نقوداً من صديق. وستشعرين بالراحة عند شقيقتي بدلاً من بقائك هنا طوال الليل».

وشعرت فاي أنه على حق. ستذهب إلى شقيقته عندما تطمئن على حالة لو . ثم قالت له :

«هل يمكنني المساعدة في المستشفى ؟ سوف أجن إذا بقيت أفكر بدون عمل.»

«ولكنك لست في حالة تمكنك من ذلك.»

«أرجوك. لابد أن هناك عملاً يمكنني القيام به.»

«حسناً ربما كان من الأفضل لك أن تشغلي نفسك بعمل شيء ما.»

ثم أخذ بذراعها وقادها إلى مكتب رئيسة الممرضات حيث تجمع الكل يسأل ويطلب الاطمئنان على المصابين. فقالت الرئيسة :

«أرجو أن تكونوا أكثر هدوءاً حتى يمكننا العمل في جو هادىء.»

ثم لمحت الدكتور رانسوم وهو يقترب من المكتب فغطت بيدها فوهة التليفون ونظرت إليه متسائلة ثم سمعته يقول لها :

«وجدت لك إحدى المتطوعات. فهذه الشابة ستساعد في تضميد الجروح.»

«وهل يمكنها ذلك ؟»

«إنها أحسن من يعقد الأربطة.»

ثم اصطحب فاي إلى عنبر الطوارىء وبعد ساعتين وصلت فاي إلى منزل كيت رانسوم في التاكسي، ودقت الجرس وهي تشعر أنها دخيلة عليها برغم أن الدكتور رانسوم أكد لها أن أخته يسرها استقبالها.

ولكن كيت استقبلتها بترحاب شعرت فاي بعده بالراحة والاطمئنان. وكانت كيت تشبه أخاها إلى حد كبير. فلها وجهه الصارم نفسه الذي تبدو عليه الكآبة ولكنه يتغير ويبدو مشرقاً عندما يبدأ في الابتسام.

دخلت فاي إلى البهو الصغير وهزت السيدة رأسها بهدوء عندما همست فاي تقول إن الدكتور رانسوم أرسلها ، فهي معتادة على استقبال أصدقائه الغرباء. ولما رأت ملابس فاي الممزقة الملطخة

بالدماء قالت لها :

«هل كنت ضمن المصابين في حادث القطار المنكوب. إنك في حاجة إلى حمام. هل لك قريب في المستشفى ؟»

«كم أود أن أستحم فأنا في حالة لا توصف.»

ثم استطردت تقول:

«إنه زوجي، حالته خطرة ولكنه سوف يعيش.»

وفجأة امتلأت عيناها بالدموع واستندت على حاجز السلم وانهارت فانهمرت الدموع التي حبستها وهي بجانب لو في غرفته بالمستشفى.

ولكنها بكت الآن في منزل كيت رانسوم وانهمرت الدموع على وجهها الذي عصف به الألم . وكان قلبها يتساءل إذا كان مقدراً لها أن تفترق عن لو فلماذا لم يمتها الله في الحادث ؟ ثم أخذت تفصح عما بها قائلة :

«يجب ألا أبكي أبداً. فلو سوف يشفى. إذن لن أبكي.»

فردت عليها كيت رانسوم تقول :

«الله خلق الدموع كي تبكي في مثل هذه الاحوال.»

وبعد مضي بضعة أسابيع جلس لو في شرفة المستشفى يستمتع بالشمس مبتسماً لأن جويس الممرضة السمراء النحيلة، وجدت حجة أخرى لتأتي إليه. فأحضرت هذه المرة عصير البرتقال المثلج.

وقالت له وهي تصلح من غطاء ساقيه :

«هل أنت متأكد أنك لست معرضاً لقدر كبير من حرارة الشمس ؟»

وكانت تنظر إليه برعاية الأمومة وعاطفتها الجياشة، حتى أنه كتم ضحكة كادت أن تفلت منه. فهي صبية لطيفة وممرضة بارعة مثل باقي الممرضات. فسألها :

«هل يمكنك إحضار فرشاة للشعر لأني أريد أن أجمل نفسي قبل حضور زوجتي.»

فأحضرت له الفرشاة ووقفت تنظر اليه وهو يمشط شعره الأسود. فقد كانت معجبة به إلى حد كبير وتشعر بغيرة من زوجته حتى انها كانت تحييها عادة بدون اكتراث. فلما دخلت عليهما فاي قالت جويس بتحفظ:

«طاب يومك يا سيدة مارش.»

ثم تركت الشرفة ومضت بينما ابتسمت فاي وقالت للو:

«إنني أرثي لحال هذه الفتاة المسكينة فهي معجبة بك.»

ثم أردفت تقول:

«إنك تبدأ في التحسن.»

وكان هذا صحيحاً برغم أن بعض آثار الحادث مازالت بادية عليه. ولكن الشحوب الذي كان يكسو وجهه زال. وبدأ يخطو نحو الشفاء سريعاً. إذ تحمل صدمة فقد ذراعه بشجاعة لم تتوقعها فاي. ولكنها لن تنسى اليوم التالي للحادث عندما جلست بجانب فراشه في ثوب من أثواب كيت رانسوم تنتظر استيقاظ لو من غيبوبته.

وكانت أول كلماته لها عندما أفاق:

«أشعر وكأنني نائم على لوح يطفو على الماء. هل أنت بخير؟».

فهزت رأسها ولم تتمكن من الرد. وكانت تود أن تركع بجانب السرير وتبكي كالأطفال.

وعاد يسأل وهو ينظر حوله في حيرة ويبذل مجهوداً ليتذكر برغم تأثير المخدر الذي أسدل ستاراً كثيفاً على حواسه:

«ماذا أفعل هنا؟»

ثم استدار جهة اليسار حيث الألم المتركز في ذراعه. وهنا انقشع الستار وأخذ يتذكر وقال:

«لقد بترت ذراعي اللعينة.»

وأخذ يتفحص وجه فاي بينما كانت تنتظر ما يقوله:

«هذا أفضل من بتر رأسي؟»

وأغلق عينيه وراح في سبات من الاجهاد.

وامتثل لفقد ذراعه بالهدوء نفسه الذي جعله ينسب في العربة ليحميها ويفقده. وبعد أسبوع أخذت صحته في التحسن بسرعة وعادت إليه روحه المرحة واسترد حبه للفكاهة حتى في حديثه عن ذراعه. وأحبته الممرضات جميعهن لوسامته واستخفافه بعاهته. فكن يدخلن عليه مرات عديدة يتحدثن معه ويتبادلن معه النكات وأطلقن عليه اسم القرصان. وكانت فاي تزوره يومياً. فقد صممت كيت على أن تبقى عندها فحمدت ربها لأن منزل كيت أفضل بكثير من وجودها في أحد الفنادق.

وتسربت إلى الجرائد أخبار حادث لو بسرعة فانهالت المكالمات التلفونيه والبرقيات من هوليوود تعلن الأسف والتمنيات بالشفاء. وجاءتها مكالمة تليفونية من ثاليا فان دين تطلب بعض كلمات من لو لتنشرها في زاويتها في الجريدة. فالتفتت فاي إليه تسأله رأيه فرد يقول:

«قولي لها أن تذهب إلى الجحيم.»

لكن فاي اجابتها:

«لو يشكرك على سؤالك عنه وهو يحسن بسرعة ويقول إن هذا أحسن من بتر رأسه. طبعاً يمكنك أن تنقلي كلامي إلى الجريدة. ولست أدري متى يمكنه مغادرة المستشفى. نعم كنت محظوظة لنجاتي. أما سبب الحادث فيقال إنه الضباب الذي انتشر تلك الليلة. نعم كانت تجربة مريرة، ونحمد الله أن القطار لم يكن مزدحماً. ومع ذلك كان هناك عدد من القتلى والجرحى.

وأظهر لو إلى فاي امتنانه لبقائها في هذه البلدة الصغيرة المسماة فارمرز كورنز، تزوره في المستشفى يومياً، تكتب له الرسائل وترد على المكالمات وتأتي بالهدايا. ولكنّ عينيه لم تبديا سوى الامتنان لها. أما فاي فكانت تخشى المستقبل وتتساءل عن وضعها وهل يبقى كما كان قبل الحادث؟ وهل تواجه الانفصال التام عنه؟ ثم تذكرت النظرة العاطفية التي ومضت في عينيه وقت وثوبه إليها وانتزاعها من مقعدها وضمها إليه، ثم نزولها معاً إلى الدوامة القاتلة. وقالت فاي:

«أظن أن صبرك نفد لانتظارك يوم السبت. كم كان سروري إذ أخبرني الدكتور رانسوم أنك ستغادر المستشفى حينذاك! ألست سعيداً لذلك؟»

«نعم إنني سعيد جداً لذلك.»

وفجأة نظر إلى الجهة الأخرى وهو عابس. فضحكت فاي وقالت:

«سوف تأسف لفراقك الممرضات!»

فهز كتفيه ولكنها دنت منه وسألته:

«ماذا بك يا لو؟»

«لا شيء ... منزعج قليلاً لأن الجميع في هوليوود سوف يبالغون في الأمر ويعطون لنزاعي أهمية كبرى.»

«إنهم يضمرون لك الخير.»

«أعرف ذلك لكنهم يبالغون في كل شيء، وقد حدث لي ذلك الحادث وتقبلته ولكن إذا حدث أن جاءني من يقول هذا شيء، فظيع يا ولدي سأناوله ضربة قوية. فساعديني يا فاي.»

«هذا ما تظنه الآن ولكن عندما تعود إلى بيتك، سوف يتغير تفكيرك.»

«ربما غيرت فكري كلية وسافرت إلى الخارج، لدي الدنيا كلها أختار منها بلداً أذهب إليه.»

نظرت إليه فاي بقلق وقالت:

«أتترك عملك؟ افتتاح فيلم لوكريس في هوليوود بات وشيكاً. ألم يخبرك ك. ك. تلغرافياً بذلك؟ إنك لن تخذله يا لو.»

«ألا تعرفين يا صغيرتي أنه بمجرد وضع الفيلم في علبته يصبح مخرجه عديم الأهمية. فيلم لوكريس سيعتمد على مزاياه فقط وربما رجعت ثانية إلى طليطلة فهي بلدة ساحرة، وربما استأجرت منزلاً صغيراً هناك وبقيت حتى عيد الميلاد ثم أرجع لأرى طفل ديللا.»

«بمناسبة ذكر طفل ديللا وصلتني رسالة منها اليوم.»

ثم أخرجت رسالة من حقيبة يدها وأخذت تقرأ فقرات منها:

إن الطفل بخير. قولي للو إن سميّه ورث عنه ميوله نحو الجنس الآخر، فهو يبتسم للنساء فقط وهو بلونه الأسمر وعينيه البنيتين الواسعتين ينتمي إلى أسرة مارش. ذلك مع أني كنت أظنه سيرث لون شعر أبيه الأحمر. وإني أتطلع إلى اليوم الذي تأتين فيه لرؤيته. وهل أخبرك وبل عند زيارته للو أننا أعددنا له ركناً للعب ووضعنا فيه أرجوحة ورسمنا على جدرانه رسومات من والت ديزني وإني متأكدة أنك ستعشقين طفلي الصغير اللطيف فهو يتكلم بعينيه. أحضري لو عندما يتحسن وعندما يراه «...

ثم كفت فاي عن القراءة وكسا وجهها الاضطراب.

وفي الحال تذكر لو الغرفة الصغيرة في فندق ثيم حيث فقدت فاي طفلها، فراح يجاهد حتى يتغلب على تلك الذكرى. ثم قال لفاي:

«ديللا تألمت لأن زواجنا لم يقدّر له النجاح كما نجح زواجها.»

فتألمت فاي وأرادت أن تقول له «كلانا أخطأ. فأنت لم تأخذ كل ما عندي، وأنا كنت أنتظر أن تعطيني أكثر مما عندك.»

لكنها اثرت أن تقول :

«يا لو . ماذا تريدني أن أفعل بخصوص يوم السبت ؟ أقصد إذا كنت لا تنوي الرجوع إلى البيت ؟».

«لا تقلقي عليّ يا فاي .»

«ولكني قلقة. كيف يمكنك التصرّف بمفردك. هل ستذهب إلى فندق ؟».

«طبعاً سوف أطلب من الخادم أن يساعدني على ارتداء ملابسي، ومن النادل أن ينظف ملابسي عندما أسكب الحساء عليها».

ولكن ابتسامته تلاشت عندما رأى وجه فاي وقد شحب وقال لها :

«إنني أداعبك فقط. أبقيتك بجانب سريري لأسابيع عديدة وأريدك أن تطيري نحو الشمس».

«أطير نحو الشمس».

«نعم افردي جناحيك وطيري نحو الشمس وانسي وجودي».

«لا تتكلم بهذا الأسلوب يا لو .»

«هذه هي الحقيقة فمن الآن لن اخذ المزيد من وقتك أو من شفقتك وسأبقى بمفردي».

«هذا خطأ وأنت تعرف ذلك».

وفجأة اعترى فاي الغضب اذ لا يمكنه البقاء وحده بذراع واحدة. ثم قالت :

«أكلمك عن يوم السبت. يجب أن ترجع إلى بيتك وسأذهب معك لأن قلبي لا يطاوعني على تركك تتعثر وأنت تخدم نفسك. سوف أكون ذراعك التي فقدتها».

«ولكني أريد الذهاب إلى طليطلة».

«لا تكن مجنوناً. تمهل قليلاً حتى تسترد صحتك كاملة. ثم اذهب حيث تشاء. ولكنك الآن تحتاج إلى الغير».

«إنك مثل الممرضة جويس وأتمنى أن تعامليني برقة مثلها».

«هل تذهب إلى البيت يوم السبت ؟».

«نعم أيتها الممرضة».

وحان وقت انصراف الزوار فقالت فاي :

«يجب أن أنصرف حتى لا تطردني ممرضتك جويس الحسناء، وسوف آتي غداً. تركت لك بعض الحلوى في الخزانة مع الكتاب الذي طلبته».

«أشكرك يا فاي .»

وكان لو ما زال ينظر إلى الباب الذي خرجت منه فاي عندما دخل الدكتور رانسوم الذي قال :

«زوجتك، بجانب شجاعتها النادرة إنسانه طيبة جداً».

«شجاعة ؟ لأنها تزوجتني ؟».

«لا، بل أقصد أنها أنقذت حياتك ليلة الحادث. ألم تعرف ؟ إنك كنت معرضاً لفقد حياتك من النزيف لولا يقظتها. فقد أعدت الرباط المناسب مما وجدته حولها من أدوات، وهو الذي ساعد على إيقاف النزيف، ثم ساعدتني في إجراء عملية بتر ذراعك بكل كفاءة، وكأنا في غرفة العمليات. وكان الدم يلطخ وجهها وشعرها وهي تجاهد لانقاذ حياتك تلك الليلة، وتبذل مجهود عشرة رجال ... »

وبرقت عينا لو بدهشة بالغة فأمسك الدكتور رانسوم بكتفيه وقال :

«ماذا بك أيها الرجل ؟».

وتمتم لو بصوت أجش :

«لماذا فعلت ذلك ؟».

«إنها تفعل ذلك لأي إنسان. هذه طبيعتها».

«بكل تأكيد».

وأغمض لو عينيه وراح يفكر ... «وكان الدم يلطخ وجهها

وشعرها.«إنه يراها تجاهد لأجله. لتدرء الموت عنه. هل لأنها أحبته يوماً ما ؟ أم أنها تفعل ذلك لأي إنسان لطبيعة عملها كممرضة ؟

وعندما عبر فاي ولو مدخل كريستال كورت الهادىء، مساء السبت إلى بيتهما قال لو :

«أين نتناول عشاءنا الليلة ؟ هل عندك أي اقتراح ؟»

فنظرت إليه فاي وقالت :

«في الحقيقة يا لو وعدت ميمي وماكس أن أزورهما حال رجوعي إلى هوليوود . وربما تناولت العشاء عندهما.»

«أهو ماكس فورستر طبيبك ؟»

«هو وميمي لطيفان للغاية. اتخذتهما صديقين لي أثناء عملي في مستشفى أنيتاهيل . ولهما ثلاثة صبيان أصغرهم وهو، رولو ، له شعر ذهبي جميل.»

«يبدو أنه سيكون لقاء لطيفاً.»

ووقف بجانبها في المصعد وود أن يلمس شعرها الذهبي القصير، الذي كانت ترتدي فوقه قبعة صغيرة لونها أحمر غامق. ولكنه تراجع بصعوبة فهي لم تعد له حتى يلمسها، وإن كانت معه في المصعد الذي يقلهما إلى بيتهما حيث عاشا معاً، وأمضيا أوقاتا سعيدة.

ولكنها كانت معه لأنه يحتاج إلى ممرضة تساعده في ارتداء ملابسه، فتصلح من رباط عنقه وتربط له حذاءه وتعينه على تناول طعامه. وبعد وقت قصير سوف يتعلم أن يخدم نفسه وعندئذ تتركه وتمضي... نعم عندما يمكنه الحياة بذراع واحدة سوف تودعه.

وخرجا من المصعد. وبينما كان لو يفتح باب شقته كانت فاي كعادتها، تطل من نافذة الممر وتتطلع نحو الشوارع وقد أقبل الليل، وأضاءت الأنوار المنازل العالية. فوقف لو يراقبها برهة، ثم قال لها :

«تعالي أيتها الحالمة ... سيفوتك الموعد مع أصدقائك.»

استدارت إليه لترى بعض الكآبة في عينيه فقالت له :

«هل تفضل أن أذهب معك للعشاء ؟»

«لن أفسد عليك ليلتك. تحملت الكثير بسببي في الأسابيع الماضية. فاخرجي واستمتعي بوقتك.»

وبعد أن أدخلا الحقائب إلى الشقة رأى فاي تدخل حقيبتها إلى الغرفة. فقال لها :

«لا أحب أن أراك تحملين حقيبتك.»

«لست ضعيفة كالأرنب. برغم أني أبدو مثله.»

«هل لك أن تأتي معي إلى بيت الدكتور فورستر ؟»

وكانت تتوقع أن يهزأ باقتراحها. لكن فكرة تركه يتناول عشاءه في أحد الأندية وحده، حيث يتعرض لنظرات الرثاء، تقلقها وتمس شفقتها ولذلك تشجعت وأبدت اقتراحها.

فلم يرد عليها لو لتوه، بل راح ينظر إليها بصمت حيرها، وهمت أن تتراجع ولكنها قالت :

«إنهما لطيفان. وظننت أنك قد تود الذهاب معي.»

«أود فعلاً الذهاب معك. وجميل منك أن تطلبي مني ذلك يا فاي.»

«حسناً ... إنهما يرحبان بالضيوف. وقد ظننت أنك لن تتمتع بعشائك وحدك بالخارج.»

وبدا على وجهه تعبير ساخر. وقال لها :

«لا بد من الاعتراف أنني لم أكن متحمساً لأدع الخادم يقطع اللحم لي.»

فقالت فاي مازحة. وإن كان الألم يعتصر قلبها :

«يمكنك أن تأخذ قطعة اللحم في يدك وتقضمها كإنسان الكهوف.»

ثم حملت حقيبتها وقالت له :

«هل أنام الليلة في غرفة الضيوف ؟»

«هذا طبيعي، وجميل منك أن ترغبي في مساعدتي، يا فاي . ولكني قلق على عملك اذ كنت توّاقة لأن ترجعي إليه.»

«يمكنني أن أجد مكاناً آخر أعمل فيه، فالممرضات دائماً مطلوبات.»

«حتى للعاجزين من الأزواج مثلي ؟»

فابتسمت وقالت :

«سأستعد قبل الذهاب إلى ميمي فورستر . فالرحلة كانت طويلة بالقطار.»

ثم لما وصلت إلى باب الغرفة التفتت وقالت له :

«لا تنس أن تناديني إذا احتجت اليّ. فأنا هنا لخدمتك.»

فابتسم لو ووعدها بذلك، ولكن بعد أن أغلقت الباب عليها اختفت ابتسامته وتملكه اليأس. فملأ لنفسه كأساً من الشراب واحتساها دفعة واحدة فألهب الشراب حلقه.

لماذا وافق على أن يذهب إلى بيت الطبيب فورستر . لم يكن السبب خوفه من إخفاقه في تناول الطعام في محل عام، بل لأنه يود أن يكون بجانب فاي . فهو متدله في حبها، وهذه هي الحقيقة التي يعرفها جيداً ... إنه يشعر بقلبه يخفق وهو واقف بجانب غرفتها. ولم يتصوّر أن يتملكه حبها بهذا القدر الذي يجعله يريد أن يذهب إليها ويطلب صفحها لأنه لم يحبها من قبل.

دقت فاي جرس باب بيت الدكتور فورستر وابتسمت للو وقالت له :

«لا داعي لأن تبدو كأنك تزور طبيب الأسنان !»

«فعلاً أشعر بمثل هذا الشعور.»

وفتح ماكس الباب وبدت على وجهه نظرة استغراب وهو يتفحص لو، الذي مد يده إليه وقال :

«أنا لو مارش . أرجو ألا أكون متطفلاً.»

ونظر ماكس إلى كمّ لو الخاوي الذي ظهر من تحت معطفه الخفيف، وهو يمد يده لمصافحته، وإلى ابتسامته الودية. وكان ماكس مستعداً أن يكره لو لأنه آلم فاي . ولكن الآن، وهو ينظر إلى تلك الذراع المبتورة، وهو يتذكر الحادث الذي أدلت فاي بتفاصيله في رسالة إلى ميمي . تلاشى ذلك الشعور بالعداوة نحوه. هذا الشيطان الوسيم لا يمكن أن يكون حقيراً. فحب فاي الذي أبدته له في الماضي يثبت ذلك، ووثوبه التلقائي إليها في القطار ليحميها من الموت كان عملاً شجاعاً خالياً من الأنانية. راق ماكس كثيراً. قال ماكس :

«تعال أعرفك بميمي .»

وكانت ميمي قد سمعت صوت رجل غريب، ثم رأته داخلاً غرفة الجلوس فبدا على وجهها التساؤل. فابتسمت فاي وقالت لها وهي تقبلها :

«اصطحبت لو معي، وأرجو ألا يضايقك ذلك.»

«كلا مطلقاً.»

وكانت ميمي قد أخذت بذلك الرجل الأسمر الباسم فسألته :

«هل استعدت صحتك الآن يا سيد مارش ؟»

«أنا في قمة صحتي.»

وراح ينظر إلى جمال ميمي بتقدير واضح، فاحمر وجه ميمي وأدركت الآن لماذا قالت فاي مرة إنها لم تتمكن من مقاومة سحر لو ،كالقطة الصغيرة التي لا تقاوم كرة الصوف المعقودة. وسمعت ماكس يقول :

«دعني آخذ معطفك.»

فخلعه وأعطاه إلى ماكس شاكراً. ثم وقع نظر لو على دمية

لطيفة من دمى الأطفال. وهي عبارة عن دب ملقى بجانب التليفون، إحدى أذنيه برتقالية اللون ملتوية بشكل مضحك، ويرتدي رداء من الورق الوردي. فابتسم وقال لميمي :

«أخبرتني فاي أن عندك ثلاثة من الصبية.»

«نعم ثلاثة شياطين ... إنهم نائمون الآن في الطابق العلوي. أرجو أن تجلس. ماذا تشرب ؟»

فصاحت فاي عبر الغرفة قائلة وهي تسلم معطفها إلى ماكس :

«عصير البندورة.»

وراح لو ينظر إلى فاي وهي تخلع معطفها. فبدا من تحته ثوبها المرجاني اللون الذي أظهر قوامها النحيل. ثم قال لميمي :

«لا تأبهي لها فهي من الناس الذين يدوخهم عصير البرتقال، وإني أرثي لها.»

فضحكت ميمي وقالت وهي تمزج المشروبات :

«سأقدم لك خليطاً اخترعه ماكس . وأرجو أن تدعوني بميمي .»

«حسناً.»

ثم جاءت فاي ، وجلست على ذراع مقعد لو ، وأخذت تصلح من رباط عنقه وتقول :

«أنا لا أحسن رباط عنقك كما كنت تربطه من قبل فأنا لست بالخادم الماهر.»

«ولكن لا بأس بما تفعلين.»

قال ذلك وهو ينظر إلى رأسها المنكس.

وجاءت ميمي بالمشروبات وقد راعها منظر فاي وهي منحنية تصلح رباط الرقبة للو ، الشخص الوسيم المهيب. أما لو فأخذ يرشف المشروب ويهز رأسه إعجابا به، ثم سأل ميمي :

«هل ستقدمين المشروب نفسه إلى فاي ، إنه مشروب قوي.»

فردت فاي تقول :

«لا. لن تقدم ميمي لي هذا المشروب.»

قالت ذلك وهي تتقبل من ميمي عصير البرتقال العتيد.

وكان العشاء لذيذاً جداً، وبعده دار حديث شائق عذب، وشعور باسترخاء واستمتاع. وعجب لو من فرط سعادته، فقد راقت له الغرفة الهادئة بمقاعدها المريحة، وبدمى الأطفال الموضوعة قرب التلفزيون، وبالطريقة المرحة التي كانت تأكل بها فاي وميمي الشوكولاته كالأطفال في رحلة.

وتجسمت فاي أمامه في ذلك البيت المريح، فإذا نظر إليها رآها على سجيتها وقد تخلصت من خجلها ومن مخاوفها. وإذ سمعت ميمي أحد الاطفال يبكي، فطلبت فاي من ميمي أن تصعد هي إليه وقالت :

«إنه رولو . دعيني أصعد إليه يا ميمي . فسأعرف كيف أعيده إلى النوم ثانية.»

فضحكت ميمي وقالت :

«بالتأكيد فإن رولو هو حبيبك.»

ولما غادرت فاي الغرفة، سأل ماكس لو وهو يشعل له سيكارة :

«هل تعاني من ذراعك ؟»

«أشعر أحياناً أني مازلت أحتفظ بيدي، وأني قادر على تحريك أصابعي.»

«سوف تتخلص من ذلك الاحساس بالتدريج. وهل ستستخدم ذراعاً صناعية بعد ذلك ؟»

«لا بل أرفض الأطراف الصناعية. وسأعرف كيف أتصرف بدونها.»

«إني أقرك على ذلك .»

ولما رجعت فاي قالت وهي تبتسم :

«لا عجب أن رولو لم يتمكن من النوم، وجدت في فراشه عربة لاطفاء الحريق. وقد جاهدت حتى استبدلتها بكلب مصنوع من الصوف.»

فسألها ماكس :

«ماذا فعلت حتى اقتنع ؟»

تقدمت فاي وجلست على حافة مسند مقعد لو وقالت :

«قصصت عليه قصة خيالية عن الكلاب. ولكنه لم يصدق كلمة واحدة منها. فأنتم تعرفون رولو .»

فرد ماكس :

«إنه مثل والدته. فليس لديه ذرة من الخيال العاطفي.»

ردت ميمي تقول :

«هذا ليس صحيحاً. فقد بكيت أثناء عرض الفيلم الذي شاهدناه الأسبوع الفائت.»

فسأل لو باهتمام :

«ما هو اسم الفيلم ؟»

«إنه فيلم عنوانه أيرين أبوت .»

فالتفتت فاي إلى لو تقول :

«إنه فيلم من إخراجك، سمعتك تذكر ذلك وقد رأيته عندما كنت في كازا روش لتمريض جدتك، ولما ذكرت أمامك أنني أعجبت به أخبرتني أنك مخرجه.»

فقال لو لفاي :

«نعم إنني أخرجته يا حبيبتي.»

ثم التفت لو إلى ميمي وقال :

«ما زلت أفرح كلما سمعت من يمدح ذلك الفيلم، فإنه واحد من أنجح أعمالي.»

فقالت له ميمي :

«أعجبت بالخاتمة، وكيف نزلت الأمطار بغزارة بينما كانت أيرين تهرب من ذلك المنزل الملعون. ثم لحظة وقعت عن حافة الهاوية. ولكن لماذا جعلتها تموت بدلاً من أن يدركها زوجها في الوقت المناسب ؟»

فرد لو يقول :

«وأفسد أحسن لقطة في الفيلم ؟ لم أستطع مقاومة جعل أيرين تقفز عن الصخرة أثناء نزول المطر.»

فردت فاي تقول معترضة :

«لا إنك قاسي القلب يا لو .»

«لقد كنت أميل إلى أن أدع الزوج يتبعها إلى حتفها.»

ولكن فاي اعترضت تقول :

«ولكنه لم يحبها بذلك القدر. ولذلك كان الفيلم سيبدو بعيداً عن الواقع. من حسن الحظ أنك لم تتبع ميلك هذا.»

فأمنت ميمي على كلامها :

«نعم، إنه لم يحبها لدرجة أن يموت معها. وبذلك كان الفيلم سيفسد.»

ثم قال ماكس :

«هل يمكن للرجل الواقف على حافة الموت أن يقول «هذا هو الحب. يجب أن أتبعها»... هل يعد هذا تصرفاً طبيعياً ؟ من الممكن أن يمسك بها لينقذها ولكن إذا أخفق في ذلك، هل يتبعها إلى الهاوية ؟»

فقال لو بهدوء :

«الفعل التلقائي لا يفهم على حقيقته أبداً. فهو ينبع من رغبة طبيعية للاحتفاظ بالذات. أو من رغبة طبيعية مماثلة للتضحية بالنفس. وليس من الضروري أن يكون الحب هو الدافع. فقد يكون الرجل متفانياً في حب امرأته ولكنه يحجم عن أن يموت معها. بل يجد نفسه يحتفظ بذاته

وهو فعل طبيعي. وفي الوقت نفسه قد يخاطر رجل بنفسه بدون تفكير كي ينقذ شخصاً غريباً عنه.

فقال ماكس :

«هذا ممكن، ولكنه يتوقف على مدى اهتمام ذلك الشخص بسواه من الناس حتى يكرس نفسه لانقاذ أحدهم أو يموت في سبيل أحدهم. فليس كل إنسان عنده هذه المقدرة بأن يحب الانسانية جمعاء، حتى يهب تلقائياً، كي ينقذ حياة شخص غريب.»

أخذ لو يراقب ماكس وقد امتلأت عيناه بالحيرة، فشعر لو أن ماكس يحاول أن يضعه في مأزق ويجعله يصرح بشيء، يفصح به عن الدافع الذي جعله يثب في القطار كي يحمي فاي وينقذها أو يموت معها.

لم يكن حباً بالانسانية جمعاء، ولكنه الرغبة الطبيعية لأن يكون معها في لحظة الهول، ينزل معها إلى قاع الجحيم أو يرتفع معها إلى أبواب السماء. ولا يهمه أن يختار طالما كانا معاً، طالما كان معه ذلك الجسم الصغير في ايامه ولياليه الأبدية وكان لو يعرف ذلك جيداً عندما وثب لانقاذها. وأخيراً قال لو لماكس :

«إذا درسنا كل أفعالنا والدوافع التي تكمن وراءها لأمضينا نصف حياتنا لدى الأطباء النفسيين. أنا أترك فرويد لك ولكني آخذ فلسفة لوراتس التي أفهمها جيداً. ولما خرج لو مع فاي إلى بيتها، سألت ميمي ماكس وهي تجمع أكواب الشراب الفارغة :

«ماذا تظن يا ماكس ؟ هل تظن أنهما سيظلان معاً ؟

فرد يقول وهو يهز كتفيه ويرتكز على المدفأة :

« فاي طيبة القلب، قد لا تتركه. هل قالت إنها ستفعل ؟»

ردت ميمي تقول :

«بل قالت إنها ستبقى معه إلى أن يتمكن من خدمة نفسه.»

ثم جاءت ميمي إلى ماكس ودفنت وجهها في صدره وقالت :

«هل أعجبك لو يا ماكس ؟»

فلمس ماكس شعرها الناعم وقال :

«نعم يا حبيبتي. وأظنه قد مرّ، كما تعرفين، بتجربة مرّة عبر الجحيم ... تجربة هذبت من قسوته كثيراً.»

فتنهدت ميمي وقالت :

«أظن ذلك. وأتمنى أن يظلا معاً. فهو يحبها، وقد فقد ذراعه من أجلها.»

ثم تذكرت نظرة الحب التي فوجئت بها في عيني لو عندما كانت فاي تصلح من رباط عنقه. فقالت لماكس :

«أعتقد أن هذا الرجل المعقد مجنون بحب فاي .»

فضحك ماكس وعادت هي تقول :

«أنا متأكدة من ذلك يا ماكس .»

فرد يقول :

«وهل عارضتك في ذلك، يا حبيبتي ؟»

وفي التاكسي سألت فاي لو ؟ وهي تراقب وجهه على ضوء مصابيح الشارع :

«هل أعجبك ماكس وميمي فورستر يا لو ؟ إنك كنت مندهشاً. فماذا كنت تتوقع ؟ إنهما لا يعرفان التعالي ولا التظاهر الكاذب. إنهما طيبان جداً وهما أحسن من عرفت.»

فقال لو :

«هما على شكلتك. لا بريق ولا سخرية لاذعة ولا أطماع دنيئة.»

«نعم.»

ثم ضحكت فاي وألقت برأسها إلى الوراء على مقعد التاكسي وقالت :

«هما طيبان ولطيفان ومستقيمان.»

ثم تثاءبت وغطت فمها بيدها وقالت :

«يبدو أنني قد تعبت قليلاً. فهل تشعر بالتعب يا لو ؟ هذا هو أول يوم لك خارج المستشفى. ويعتبر أن هذا يوم طويل بالنسبة إليك.»

فرد لو يقول :

«أمضيت ساعات عديدة في الفراش خلال الأسابيع الفائتة، ولذلك أحمد الله على أني أقف على ساقي ثانية.»

كان لو يراقبها وهو يتكلم، فاندهش لجاذبيتها واهتمامها به. لم تكن لها أساليب أو محاولات اغراء. بل كانت صبية حلوة نقية تبدو منقوعة في الندى كأزهار الصباح. وشعر أنه غير واثق من نفسه وراح يتساءل كيف يتحاشاها وهو يريدها بكل قوته، بل يشتاق الآن لأن يتحسس خدها الجميل وخصلات شعرها الذهبي القصير. ويشك في قدرته على أن يخمد ذلك الشوق. ولن يرتاح طالما هي في بيته يراها تقوم بدور الممرضة الغريبة عنه، أو الصديقة الصغيرة المؤاسية. فلن يكون ذلك هيناً عليه. ثم همست فاي تقول :

«أنني معجبة بالدكتور رانسوم ، فهو إنسان متكامل.»

«وهل يدهشك أنني معجب به أيضاً ؟ أنا أشعر أنني أود أن أدق عنقه كلما رأيته ينظر إليك، بعكس ما كنت أشعر تجاه جيري كوفهان .»

«تدق عنق الدكتور رانسوم ؟ لماذا تفعل ذلك، وأنا لا أعني شيئاً بالنسبة إليك؟»

«بل أنت الدنيا لي وأكثر.»

ثم تنبه لما صرح لها به، فاعتدل في جلسته وقال :

«لا تلقي بالا لما قلته يا فاي ، فهو مثل سطر رخيص داخل أحد الأفلام.»

«إنه ليس رخيصاً، بل يساوي الكثير إذا كنت تعنيه.»

وساد سكون متوتر بينهما. ثم مد لو يده إليها وعندما لمسها تبخر

كل تحفظه كي يداري حبه لها واشتياقه إليها، وهمس يقول :

«لا أقبل منك شفقة. ولكن إن كان عندك شيء آخر فسأقبله وأنا أجثو على ركبتي.»

فاحتوت فاي وجهه بين يديها وقالت له :

« لو ، يا حبيبي، لا داعي لأن تجثو»

ثم لفت ذراعها حول عنقه وقالت له :

«يا قرصاني الصغير، إني أكره أن أراك ساجداً. إنه شيء لا يناسبك.»

«إنك تدعينني بالقرصان العزيز وتنسي كم آلمتك ؟»

«اسكت.»

ثم أخذت فاي تتحسس برفق شعره الأسود، بينما راحت نبضات قلبها تقفز فرحة لقربه منها. وقد مضى ذلك الغريب الذي ودعته في انكلترا. أما لو الحالي فكان مختلفاً لأنه يبوح لها بحبه ... ثم همست تقول :

«كل ما مر بنا قبل هذه اللحظة لا يهم. أما هذا الحب الذي وجدناه سوياً فهو كل شيء.»

«ولكنك صرحت لي أن سعادتك هي في البعد عني. وأنا أريد سعادتك ولن أتسبب في تكبدك المزيد من الألم.»

ثم ألصق وجهه بوجهها وشم رائحة العطر الخفيف العالق بثوبها وشعر بدقات قلبها المتلاحقة فقال :

«إنك جميلة وحلوة ولن أدعك تذهبين.»

«ولكني لا أريد الذهاب. كنت مجنونة عندما قلت لك إن سعادتي هي في البعد عنك. أنا لا أحيا أو أحس إذا بعدت عنك. قل لي إنك لا تريدني لمجرد خدمتك يا قرصاني الحبيب.»

«إني أريدك لذلك يا ملاكي!»

وشعر بالرضى والسعادة وهو يدخل ثانية في فردوس حبها الدافق.

ثم قال لها وهي لاصقة به، وقد ندت عنها أنة تعبر عن رضاها وسعادتها :

«هل تعرفين ما أنوي شراءه لك ؟»

فضحكت وقالت :

«ولكني لا أريد أية هدايا.»

«سوف تريدين هذه الهدية... سأشتري لك منزلاً كمنزل ميمي فورستر مع حديقة واسعة. فما قولك ؟»

لم ترد عليه لتأثرها وتأكدها من حبه لها. ثم تأكدت كذلك أن السحب القاتمة لن تظلل ذلك البيت أبداً. بل ستظل الشمس تسطع فوقه دائماً. واجابت بحنان :

«سوف نسكن معاً ذلك البيت يا حبيبي !»